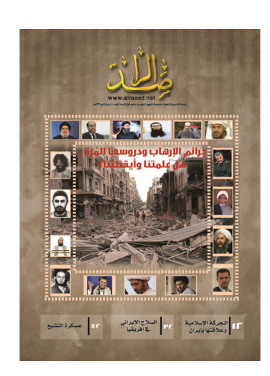


www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور اهل السنة العدد ١٥١ ربيع ثاني ١٤٣٧ هـ

جرائم الإرهاب ودروسها المُرة .. هل علمتنا وأيقظتنا؟





رسالة دورية
تصدر بداية
كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط
قيمة الاشتراك لسنة
(٣٠) دولار أمريكي

العدد
(١٥١)
ربيع الثاني- ١٤٣٧ هـ

www.alrased.net
info@arased.net

المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســـــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة

جرائم الإرهاب ودروسها المُرة... هل علمتنا وأيقظتنا؟

عبر مسيرة امتدت لأربعة عقود تقريبا عانت أمتنا من جرائم إرهابية باسم الإسلام روعت الأبرياء وقتلت مئات الآلاف منهم، وأدخلت البلاد في دوامة من الصراعات الداخلية والأزمات الأمنية، ضيقت على الدعوة الإسلامية وأضرت بالأنشطة الخيرية لصالح الفقراء والمساكين، كما أنها زعزعت الأمن والسلم عبر محاولات اغتيال الرؤساء والأمراء والتفجيرات الإجرامية العمياء، ومحاولة اختطاف الدولة بقوة السلاح، وإنشاب حروب أهلية وطائفية في بعض البلاد دمرت المدن وقضت على مكتسبات التنمية التي بنيت عبر العقود.

وكان مصدر هذا الإرهاب جهتين هما: الإرهابيون الشيعة والإرهابيون الخوارج، وبرغم أنهم متناقضون فكرياً، إلا أن الواقع يثبت اشتراكهم وتعاونهم وتقاطعهم في تنفيذ الإرهاب والتعاون فيما بينهم.

فمن أمثلة صور تشابههم في جرائم الإرهاب ما يلي:

الشيعة والخوارج استحلوا العدوان على مكة المكرمة، حيث قام جهيمان وأنصاره باحتلال الحرم المكي وقتل الأبرياء فيه بحجة ظهور المهدي المزعوم الذي بشرت به أحلام بعض أتباعه! وكذلك الشيعة استحلوا قتل الحجاج في مواسم الحج عدة مرات، قاتلهم الله جميعاً.

ولم يرتدع هؤلاء المجرمون الإرهابيون من الطرفين لليوم عن الجرأة على حرمات بيوت الله التي أقيمت لعبادته وذكره وتعظيمه، فها هو تنظيم القاعدة وتنظيم داعش ومليشيات الشيعة وحرس إيران الثوري يفجرون المساجد ويقتلون المصلين في العراق وسوريا واليمن والسعودية.

وكلا الطرفين ماضيان في قتل الأبرياء واغتصاب النساء وهدم المدن واحتلالها في بلادنا المستباحة في العراق وسوريا واليمن دون وازع من ضمير أو رادع من دين، وينتظم في هذه المسيرة الإرهابية جماعة شكري مصطفى التي قتلت وزير الأوقاف المصري، وجماعات العنف في الجزائر التي أجرمت بحق المسلمين المسالمين بالقتل والسبي بفتاوى باطلة، وحزب الله الذي احتل بيروت ويقتل الشعب السوري، وجماعة الزرقاوي التي كفّرت وقاتلت المقاومة العراقية السنية ومليشيات الحوثي التي هدمت اليمن وخطفته، وداعش التي طعنت الثوار في ظهرهم في سوريا وخدمت نظام بشار خدمات لا تحصى مع تشويه صورة الإسلام في العالم، وخلايا إيران النائمة في البحرين والكويت التي قتلت وعذّبت المعارضين لها، وشبيحة بشار وإيران الذين اغتصبوا النساء وقتلوا الأطفال.

وقد استهدف الطرفان (الإرهابيون الشيعة والخوارج) بالاغتيال بشكل خاص العلماء والدعاة، حيث اغتال الشيعةُ الشيخ إحسان إلهي ظهير في باكستان، وعددا كبيرا من علماء السنة في إيران منذ زمن المقبور الخميني، ولهذه اللحظة لا تتوقف الاغتيالات والإعدامات بحقهم، كما استهدفت القاعدة وداعش عددا كبيرا من العلماء والدعاة في العراق وسوريا.

كما أن الطرفين (الشيعة والخوارج) مارسا وتنافسا في القيام بأبشع الجرائم، من حرق الضحايا التي مارسها جيش المهدي بحق سنة العراق مبكراً، إلى حرق داعش للأسرى، إلى وزير الداخلية الشيعي صولاغ الذي استخدم المثقاب (الدريل) في تعذيب وقتل الأبرياء، إلى إغراق داعش للخصوم، إلى الذبح بالسكين من الطرفين للناس.

كما أنهما تشابها في محاولة اغتيال الحكام حيث نجحا في قتل الرئيس المصري أنور السادات، ورئيس

وزراء لبنان رفيق الحريري، وفشلا في اغتيال أمير الكويت جابر الأحمد، ورئيس مصر السابق حسني مبارك، ووزير الداخلية السعودي محمد بن نايف، ورئيس الجيش النيجيري مؤخراً.

أما عن أمثلة تعاونهما معاً في الإرهاب تنفيذاً وتخطيطاً، فما يلي:

فمن مطلع الثمانينيات من القرن الماضي احتضنت إيران بعض الفارين من قادة الجماعة الإسلامية المصرية، ودعمتها مالياً ولوجستياً وفسحت المجال لها عبر إذاعة طهران لبث القلاقل في مصر، ولما تبنت الجماعة وثيقة نبذ العنف، انقلب تعامل إيران معها وبدأت تضيق على أفرادها، لأنها تريدهم ورقة مناكفة لنظام مصر بدعم الإرهاب فيها!

وفي الجزائر دربت إيران وحزب الله بعض الجزائريين من أتباع مصطفى بويعلي الذين دخلوا في صِدام مع نظام الشاذلي بين سنتي ٨٣- ٨٤ من القرن الماضي.

وقامت المخابرات الإيرانية في تسعينيات القرن الماضي بتدريب كوادر من أتباع أسامة بن لادن من جماعة الجهاد والجماعة الإسلامية في السودان وفي بيروت بمعسكرات حزب الله على عمليات التفخيخ والتفجير، والتي تم تطبيقها بعد ذلك في عدد من دول أفريقيا.

وعقب سقوط إمارة طالبان في مطلع القرن هربت قيادات بالقاعدة إلى إيران منهم عائلة ابن لادن وأبي مصعب الزرقاوي، حيث تم تجديد التفاهم على تحييد الأرض الإيرانية من عمليات القاعدة، وهو الأمر القائم منذ نشأة القاعدة لليوم، ولا تزال داعش تلتزم البقاء بعيدة عن الحدود الإيرانية ٤٠ كم بحسب تصريح وزير الدفاع الإيراني.

وتفاهمت إيران مع القاعدة والزرقاوي كلاً على حدة، فالقاعدة أخذت تضغط على الزرقاوي ألاّ يهاجم إيران والشيعة العراقيين خوفاً على مصالحها من الطريق الآمن وقياداتها في طهران كما في رسائله مع الظواهري، بينما تم تزويد الزرقاوي بالسلاح من قبل إيران وتسهيل عملياته ضد شيعة العراق لدفع الشيعة العراقيين لحضن إيران، وهو ما تجسد بهيمنة إيران على قرار شيعة العراق، والعراق كله اليوم.

ثم شهدنا تهريب قيادات القاعدة فقط من سجون بغداد، لتظهر حكاية داعش ثم يتم تسليم الموصل لقوات داعش وانسحاب وذوبان الجيش العراقي بأمر من نوري المالكي.

ونختم بدعم إيران لتنظيم حركة الشباب بالصومال الذي بات معروفاً، وأن قاعدة اليمن كانت تتخادم مع الحوثيين سنين طويلة، وعلاقة إيران برعاية إرهاب الخوارج أصبح مكشوفاً ومعروفاً بعد أن كان البعض يشكك فيه وفيما طرحته الخطة الإيرانية السرية، من ضرورة تحريض الشباب السني ضد أنظمة حكمه السنية.

الخلاصة:

إن هذا التشابه والتنافس والتعاون في الجرائم الإرهابية بين الشيعة والخوارج جلب على الأمة ويلات كثيرة ومحنا وفتنا عديدة كما أنه بدد طاقاتها وثرواتها وأربك أولوياتها وصرفها عن تنمية بلادها ورعاية أبنائها وأشغلهم عن العدو القديم المتمثل في إسرائيل وعدوانها المستمر على الشعب الفلسطيني والمسجد الأقصى المبارك.

وما كان لهذا الإرهاب الشيعي والخارجي أن يبلغ هذا المدى من الإجرام والإضرار والتعطيل، لو كانت هناك رؤية شرعية صحيحة ووعي سياسي سليم عند أغلب الساسة في الحكم والعلماء الشرعيين والإعلاميين المهنيين.

إذ غياب الفهم السليم لحقيقة معتقد التشيع ومعتقد الخوارج عن الساسة والعلماء والإعلاميين جعلهم ينخدعون بسهولة بالشعارات البراقة للشيعة وإيران حول المقاومة والممانعة مع العدو والسلام والتعايش مع الجيران!

وهذا الجهل أو التجاهل جعل البعض يتعاطف ويتحمس مع شعارات نصرة الإسلام والجهاد وتحكيم شريعة الرحمن، ويتردد في إدانة غلو وتطرف الخوارج عبر ما يطرحونه من تنظير وفتاوى والتي تجسدت في حوادث هنا وهناك إلى أن تجسدت شاخصة في جرائم داعش المتلفزة، وإلا فقد تم قطع رؤوس عدد من علماء ودعاة الجزائر على يد الخوارج هناك وسبي للنساء، لكن عدم انتشارها إعلامياً جعل تكرارها سهلاً حتى ضج الناس منها لما تواقحت داعش بإذاعتها متعمدة وقاصدة لغايات كثيرة منها خبث من يديرون داعش لتشويه الإسلام نفسه ودولته وخلافته من خلال هذا النموذج الكريه والبغيض!

هل علّمتنا هذه الدروس المُرة أن نركز على فهم المعتقد والفكر المحرك لمثل هؤلاء الإرهابيين واستدعاء تاريخهم الإجرامي الطويل حين التعامل معهم حتى لا تغرّنا الشعارات البراقة والحجج المغلوطة باسم الإسلام؟

من دعاة الفتنة والضلال في عصرنا
٢- م. محمد كيالي

إعداد: فادي قراقرة– كاتب فلسطيني - خاص بالراصد

تمهيد:

قال ابن تيمية رحمه الله: (ومن أعظم أسباب الغلط في فهم كلام الله ورسوله، أن ينشأ الرجل على اصطلاح حادث، فيريد أن يفسر كلام الله بذلك الاصطلاح، ويحمله على تلك اللغة التي اعتادها). مجموع الفتاوى (١٠٦/١٢- ١٠٧).



ولن يكون علي الكيالي الشخصية الأولى أو الوحيدة التي تطعن في ثوابت الأمة الإسلامية وتشكك المسلمين في أصولهم العقدية وتخوض في الغيبيات والمسلّمات بجهل وهوى ولن يكون الأخير، فقد سبقته فرق وأشخاص افترقت أدواتهم واتفقت تصرفاتهم.

ويقول الأستاذ محمد محمد حسين رحمه الله في كتابه «الروحية الحديثة»: «لابد أن ننتبه أن يد الهوى قد لبست في عصرنا قفاز العلم واستطاعت من وراء هذا القفاز أن تصافح كثيرا من العقول وأن تتسلل إلى كثير من البيئات والأوساط ، دون أن يداخل الناس شك في أمرها، وأصبح بين العلماء في شتى المعارف الإنسانية من يوجه العلم لخدمة هواه أو فلسفته، بل حتى الدراسات الموضوعية الخالصة التي كان يظن أنها أبعد شيء عن عبث العابثين لم تسلم من اتخاذها آلة في يد المغرضين، فبعدوا بها عن النزاهة التي هي سمتها وجعلوها آلة لتدعيم رأي لهم أو فلسفة اعتنقوها».

من هو علي الكيالي:

هو عالم فيزيائي ومهندس معماري، مفكر وباحث إسلامي كما يحب أن يصف نفسه! من مواليد ٣١ مارس ١٩٥٣م في مدينة حلب، أتم دراسته الثانوية في مدينة حلب عام ١٩٧٠ ثم انتقل للدراسة في جامعة حلب في كلية العلوم، تخصص الفيزياء والرياضيات، بين عامي ١٩٧١ و١٩٧٥، وبعدها درس الهندسة المعمارية حتى عام ١٩٧٩ في نفس الجامعة.

وفي عام ٢٠١٢ حاز على شهادة الدكتوراه في البحوث الإسلامية من الجامعة اللبنانية، ومما يذكره ضمن ترجمته لنفسه أنه عمل على دراسة القرآن الكريم دراسة علمية فيزيائية وتاريخية ولغوية منذ عام ١٩٨١.

وكان من جملة أعماله المهنية: مدرساً لمادتي الفيزياء والرياضيات (١٩٧٥- ١٩٨٥)، رئيس قسم الأشغال الهندسية في قيادة شرطة حلب (١٩٨٠-

٢٠٠٧)، وعمل بدائرة أملاك اليهود في حلب (١٩٨٣- ٢٠٠٣) كمهندس استشاري!! وواضح أنها مجالات لا علاقة لها بالعلوم الشرعية!

المنهجية الفكرية لعلي الكيالي:

يزعم الكيالي أنه يحاول خلال أطروحاته توظيف علم الفيزياء والعلوم الحيوية بشكل عام في تفسير النصوص القرآنية للوصول إلى خطاب جذاب! والمشكلة أنه يستخدم تلك الأدوات مع عدم تمكنه منها، بل ومع خلطه فيها خلطاً شديداً، بالإضافة لجهله باللغة والشريعة مما أدى به إلى الخوض بالباطل فيما نهى الله عنه من الغيب المقرون به سبحانه وتعالى، فأنكر أشياء مسلّمة عند المسلمين وأثبت أشياء لم يذكرها أحد من علماء الأمة ولا الصحابة ولا التابعين!!

من الجرأة الغريبة والعجيبة أنه يدعي أن علمه ومعرفته لم يبلغها أحد من الأمة منذ ألف وأربعمائة سنة، حيث رد الكيالي على من ادّعى أنه ليس مؤهلاً للفتوى في هذه الأمور في إحدى حلقاته، بقوله: (الفتوى في اللغة معناها رأي فتي، والله عز وجل يطالب في هذه الآية لكن هذه الآية ممنوع على الأمة الإسلامية أن تطبقها من ألف وأربعمائة عام لحد الآن، الفتوى رأي فتي يجب أن يجيب عنها صاحب الاختصاص، هنا قال الله تعالى: فاسألوا أهل الذكر، أهل الذكر هم أصحاب الاختصاص).

لن أعلق على خطئه في معنى الفتوى في اللغة فهذه يستطيع كل باحث أن يراجع معاجم اللغة ليرى الفرق بين كلام الكيالي وبين كلام علماء اللغة، لكن المهم زعم الكيالي أن الأمة عبر تاريخها الطويل لم تشتغل في تطبيق معنى هذه الآية حتى أتى علي الكيالي فطبقها!!

نماذج من أخطائه في قراءة القرآن الكريم

يدّعي علي الكيالي بأنه مفسر للقرآن لا مثيل له، لكن في الحقيقة - ومع الأسف- هو أصلاً لا يحسن قراءة القرآن الكريم، فكيف يحسن تفسيره؟!! فضلاً عن أنه جاهل في اللغة العربية وجاهل حتى بالفيزياء التي يزعم أنه تفرد بتفسير القرآن بواسطتها!!

المتابع للكيالي يلحظ عليه أنه يقرأ القران بلغة عامية ولا يعطي حروف القرآن حقها من النطق بل ولا يرعى جانب القراءة اللغوية الصحيحة فتكثر عنده الأخطاء اللغوية بأنواعها الجلية والخفية، وهذا يتناقض مع أبسط أسس تكوين المفسر!

فمرة يقرأ (فدمدم) أقرب ما تكون من فضمضم، ومرة يقرأ (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) أقرب ما تكون من (إن الله لا يزلم) بتفخيم الزاي (مسقال) بدلاً من مثقال، (زرة) بدلاً من ذرة! وهذه الأخطاء ناجمة عن قراءة القرآن باللهجة العامية التي يتجنبها طلبة مراكز تحفيظ القرآن في شهرهم الأول، بينما الكيالي هذه قراءته في كل محاضراته!!

أما أخطاؤه الجليّة في قراءة القرآن فهي كثيرة، منها قوله:

﴿فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالساهرة﴾

بنصب زجرة لا برفعها.

ومرة يخالف فضيلةُ المفسر العبقري إجماعاً منعقداً منذ ألف وأربعمائة سنة على علامات الوقف القرآني فيقول: «يجب أن نقرأ هذه الآية ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها ❖ فيم أنت من ذكراها﴾.

فوقف على (فِيمَ) لماذا هذا السؤال؟؟ أنت مِن ذكراها أنت علامتها الكبرى فلماذا يسألون؟»، فجعل الوقف على (فيم)، رغم أن نهاية الآية الكريمة كانت عند كلمة (مرساها)!!!

وهذا اتهام لمجموع الأمة أنها لم تستطع ضبط كتاب ربها حتى أتى فضيلة الدكتور الكيالي!!!

ولولا أن المقام لا يتسع لذكر جميع أخطائه في قراءة القرآن الكريم لزدت من الأمثلة، ومالا يدرك جله لا يترك كله.

أخطاء لغوية غريبة في تفسيره

يتحدث الكيالي واصفاً نفسه بأنه خبير في

لغـات القبائـل، وفي المقابـل تـرى الـضعف المريـب في اللغـة العربيـة وقواعـدها بحيـث يـصبح المـرء يـشك في سلامة قصده أو براءة نفسه.

ومـن غرائبـه في الجهـل اللغـوي مـا جـاء في سـياق حديثـه عـن يـأجوج ومـأجوج وإنكـاره لوجـودهم الآن، حيـث أخـذ يـستدل بقولـه تعـالى: ﴿فـإذا جـاء وعـد ربـي جعلـه دكـاء وكـان وعـد ربـي حقـا﴾ [الكهـف: ٩٨] علـى أن الوعـد الـذي أخـبر الله عنـه قـد جـاء وحـصل ولم يعـد لهـم وجـود، لمـاذا؟!! لأن (جـاء) فعـل مـاض!!! ونـسي أن (إذا) تعمـل عمـل المستقبل لأنها ظـرف زمـان متعلق بالمستقبل.

والنـاظر والمتأمـل في القـرآن الكـريم سـيجد كـثيرا مـن هـذه الأمثلـة الـتي لا تتـسق مـع فكـرة الـدكتور العبقـري! فالمعـاجم اللغويـة والكتـب الخاصـة في لغـات القبائـل متـوفرة بـين أيـدي البـاحثين، والعاقل لا يسلّم عقله لكل من هب ودب.

نمـاذج مـن أخطائـه الفيزيائيـة رغـم التخـصص المزعوم

يحـاول الكيـالي إيهـام النـاس بأنـه عـالم لا يـشق لـه غبـار في الفيزيـاء، وأنـه وصـل لتفسير الكـثير مـن الآيـات القرآنيـة مـن خـلال علمـه الواسـع بالفيزيـاء، لكـن الحقيقـة أنـه جاهـل بالفيزيـاء ويـروّج الكـثير مـن الأخطـاء والمغالطـات العلميـة، وقـد صـرح بجهلـه عدد من المتخصصين بالفيزياء.

مـثلاً يـزعم الـدكتور علـي الكيـالي أنـه وبعـد عـام ٢٠٠٠ في اليابـان، ثبـت أن كـل فوتـون ضـوئي هـو عبـارة عـن كـرة فارغـة وبداخلـها جـسم أصـغر منهـا بمائـة مـرة يـسمى الكـوارك، وهـذه مـصيبة علميـة فزيائيـة، فـالفوتون جـسيم أولـي لا يتكـون مـن جـسيمات أصـغر منـه! أمـا الكـوارك فهـو مـا يكـوّن النيـوترون والبروتـون، وكـل نيـوترون وبروتـون يتكون من ثلاثة كواركات.

ويـدعي الفيزيـائي العبقـري أن الـضوء يـدور حـول الأرض سـبع دورات ونـصف في الثانيـة، رغـم أن أي خـريج ثانويـة عامـة علمـي يعلـم أن الفوتـون (جـسيم ضـوئي) لا يـنحني في مـساره إلا تحـت مجـال جاذبيـة قـوي جـدا كمجـال النجـوم مـثلا، لـذلك لا توجـد إمكانيـة أن يقـوم الـضوء بالـدوران حـول الأرض، وحتـى يـدور الفوتـون حـول جـسيم مـا يجـب أن تكـون قـوة جاذبيـة ذلـك الجـسم قريبـة مـن جاذبيـة الثقـب الأسـود، فكيـف يتـصور الكيـالي أن الـضوء مـن الممكن أن يدور حول الأرض؟!

وفي محاضـرة أخـرى يقـول الكيـالي: (إن الـزمن في القمـر يـسير أبطـأ مـن الأرض بـسبب أن دوران القمـر حـول نفسه أبطـأ مـن الأرض، ولـو كـان هنـاك مولـودان أحـدهما علـى الأرض والآخـر ولـد علـى القمـر فـإن الـذي علـى القمـر سـيمرّ عليـه يـوم، بينمـا الـذي علـى الأرض سـيمر عليـه شـهر في نفـس المـدة، وأن الانـسان خـلال سـتين سـنة علـى الأرض سـيمرّ عليـه سنتان فقط على القمر)!

وهـذا كـلام فـارغ، فالنظريـة النـسبية تقـول إن الاجـسام الـتي تتحـرك بـصورة أسـرع يمـر الـزمن فيهـا بشكل أبطأ والعكس صحيح.

مكانـة علـي الكيـالي عنـد متخصـصي الفيزياء:

الـدكتورة ريـم الطـويرقي المتخصـصة بعلـوم الفيزيـاء والـتي كُرمـت عالميـاً في فرنـسا لجهودهـا المتميـزة في الفيزيـاء نقـدت سـخافات الكيـالي ثـم قالـت: (نعـم هـو الـدكتور الكيـالي وسـبق أن تحـدثت عنـه في تـويتر، وراسـلته أطلـب منـه أبحاثـه الـتي يـستند عليهـا في مزاعمـه المتعـددة ولكـن لم يـرد علـي.. قـد يكـون الإنـسان يريـد خـيرا ولكـن بعـض مـا جـاء بـه ضرره أكثر من نفعه للعقل والعقيدة).

أمـا الأسـتاذة الـدكتورة في الفيزيـاء النوويـة شـيرين الـسالمي كتبـت مغـردة: (أقـدّر نوايـا الكيـالي، وأنـه يريـد إقنـاع النـاس أن العلـم يـدعم أوامـر نبينـا محمـد عليـه الـصلاة والـسلام، لكـن أوامر الرسول ليست بحاجة لتلفيقات علمية!

- المـؤمن لا يحتـاج لدراسـات علميـة تثبـت صـحة مـا ذكـر بـالقرآن والـسنة لأنهـا حقـائق مسلمة بالنـسبة لـه، وتلفيـق الدراسـات العلميـة لـيس إلا فقاعـة صـابون فارغة.

- بالعكس، تلفيق الأدلة العلمية تجعل غير المسلمين ينفرون من الإسلام، لا تنسَ أنهم يستطيعون البحث]) أ.هـ

ووصفت الدكتورة شيرين محاضرات الدكتور الكيالي بأنها تحتوي على افتراءات علمية ومغالطات كونية، وعلى حسب رأيها الشخصي وصفت فعل الدكتور الكيالي بأنه قلة تهذيب مع آيات القرآن الكريم.

ومن الطريف بمكان ما كتبه المهندس طلال عيد العتيبي - عضو هيئة التدريس في كلية الدراسات التكنولوجية بالكويت - وكان قد سئل على موقعه الشخصي عن إثبات علي الكيالي لصحة علم الطاقة ..إلخ...

فأجاب: (له مِنّي جيب لكزس إذا أثبت صحة نتائج بحثه بأي طريقة علمية معتمدة مرفقا بحثه والمعادلات الرياضية التي استخدمها منشورة في مجلة علمية محكمة، التحدي مفتوح إلى قيام الساعة، سئمنا من الكذب العلمي وتزييف الحقائق، نحترم الأشخاص لكن الحق أحقّ أن يُتبع. أضع هذا التحدي مطمئنا لعله يختصر الموضوع).

محاولات تفسير فاشلة ينفر منها العقل والعلم والشرع

يزعم الكيالي في تفسير قوله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة﴾، فيقول: (ستقوم هذه القذيفة – يقصد كوكبا من الفضاء بحجم الأرض- بضرب الأرض من جانبها فتعكس دوران الأرض فتشرق الشمس من مغربها ...)، ولك أن تتخيل حجم الخرافة والجهل في كلامه هذا الذي يسميه تفسيراً، الحقيقة أنني لا أستغرب مبالغته السخيفة بل استغرب أن يصدق صاحب عقل سليم أن جسما ثقيلا يوازي الأرض يضرب الأرض من جانبها فيعكس دورانها فقط، وكل ما سيجري هو أن تشرق الشمس من مغربها!!!!

ومعلوم لكل الناس أنه إذا تصادمت سيارتان ستكون هناك أضرار بالقطع في كلا السيارتين، وكلما كانت السرعة والحجم أكبر كانت الأضرار أكثر، أما أن تتصام سيارتان دون تضرر جسم السيارة والسائق فهذا خيال ووهم لا يقبله إلا عقل مريض! فما بالك بالأرض!!!!

ختاماً: المقدمات الفاسدة مع الجهل في العلوم الطبيعية والعلوم الدينية إضافة إلى الجهل باللغة العربية قاد الكيالي إلى نتائج منها ما هو مخالف للعقيدة ومنها ما هو مخالف للواقع، ولك أن تتخيل حجم المخالفات الشرعية والمنطقية في كلام الكيالي ومن باب المثال فقط:

ينكر الكيالي وجود يأجوج ومأجوج.

يقول إن سبب خلق الله للبشر أن يعيشوا بسعادة، وهذا مخالف لقول الله: (وما خلقتُ الجن والإنس إلا ليعبدون).

ينكر الكيالي وجود حوض الكوثر.

يعتقد أن نظرية داروين في تطور الكائنات صحيحة.

يدّعي معرفته بمكان الجنة والنار.

يقول إن أمر الله يأتي بسرعة الضوء.

الميزان يوم القيامة يعمل على قانون أينشتاين E=MC"2"

يعتبر أن الحور العين بمثابة دليل سياحي لأهل الجنة وهن مجرد خدم.

وينكر أن حواء أكلت من الشجرة.

وغيرها من المصائب والبلايا ...

دول ابتلعتها إيران

سلسلة تتناول البلدان والأقاليم التي احتلتها إيران حديثا وجعلتها ضمن دولتها، والمعاناة التي تكبدتها الشعوب جراء ذلك، وطرق مقاومتها للاحتلال الإيراني

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

١- الأحواز

احتلت إيران بلادَ الأحواز في الربع الأول من القرن الماضي، لكن ينبغي التنويه هنا إلى أن هذا الاحتلال وإن كان قد سبق قيام الثورة الخمينية ودولة الملالي سنة ١٩٧٩م، إلاّ أن دولة الملالي لم تبادر إلى تصحيح الأخطاء أو الخطايا التي اقترفتها الدولة التي سبقتها والتي ثارت عليها بحجة أنها دولة ظالمة لا تلتزم شرع الله عز وجل، ولم تبادر إلى نصرة المظلومين والمستضعفين كما زعمت ثورتها والشعارات التي أطلقتها، بل على العكس من ذلك، رسّخت احتلالها للأحواز ولغيرها من الأقاليم والبلدان، ونهبت خيراتها، وأمعنت في مسخ هويتها، واضطهاد أهلها وإذلالهم.

نبذة تاريخية وجغرافية

تعتبر كلمة (الأحواز) هي التسمية العربية الأصيلة للمنطقة، وتذهب بعض الآراء إلى أن الأحواز هي جمع كلمة (حوز)، من مصدر الفعل حاز يحوز، أي: تملك يتملك، وقد جاء في لسان العرب: «أرض حوز، أرض أقيم حولها حاجز»، أما الحموي في معجم البلدان، فيبين أن العرب كانوا يستعملون هذا اللفظ دلالة على تملّك الأرض حصرا دون سواها من أنواع التملك الأخرى، ويشيرون به إلى الأرض التي يتخذها أي شخص ويرسم حدودها فيستحقها دون منازع.



ونظرا لعدم استطاعة الفرس لفظ حرف الحاء، فقد حوّلوا لفظها إلى (أهواز)، وقد تسرّب هذا اللفظ إلى الكُتّاب ووسائل الإعلام العربية دون التدقيق فيه، أما الصفويون الذين حكموا إيران بين عامي (١٥٠١-١٧٣٦م) فقد أطلقوا على الأحواز اسم (عربستان) أي: بلاد العرب أو أرض العرب، الأمر الذي يمثل اعترافاً تاريخياً بعروبتها.

وضمن سياسة «التفريس» أو «الفرسنة» الممنهجة

(*) كاتب أردني.

التي اتّبعتها مع الأراضي المحتلة عموما، ومع الأحواز خصوصا، لمحو أي أثر عربي في المنطقة، عمدت إيران إلى تغيير اسم الأحواز بعد احتلالها إلى (خوزستان) وتعني: بلاد القلاع والحصون، أو أرض السكر أو قصب السكر التي اشتهرت بزراعتها.

وشعب الأحواز شعب عربي أصيل، قدِم إلى المنطقة من الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، أما الفتح الإسلامي فتمّ في عهد الخليفة الفاروق عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وبقيادة الصحابي أبي موسى الأشعري، رضي الله عنه، وبقيت سنية حتى القرن العاشر حيث تشيعت مع قيام دولة المشعشعين والدولة الصفوية تحت الجبر والإكراه.

وقد تعاقبت على الأحواز الدول والإمارات، إلى أن حكمها بنو كعب الذين ينحدر منهم الشيخ خزعل بن جابر الكعبي، آخر حكام الأحواز، قبل احتلالها من قبل شاه إيران، في ١٩٢٥/٤/٢٠م.

وتقع الأحواز إلى الجنوب الشرقي من العراق، وتطل على رأس الخليج وشط العرب، ويحدّها من الغرب محافظتا البصرة وميسان العراقيتان، أما من الشمال والشمال الشرقي فيحدّها جبال البختيارية، التي هي جزء من جبال زاغروس، والتي تعتبر الحاجز الجغرافي الطبيعي الذي يفصل الأحواز عن إيران، ويجعل منهما منطقتين مختلفتين تمامًا.

أما مساحتها الحقيقية فتبلغ ٣٧٥ ألف كيلومتر مربع، لكن السلطات الإيرانية المتعاقبة عمدت إلى قضم أراضيها لصالح محافظات إيرانية أخرى مجاورة مثل: فارس وأصفهان ولرستان وكرمنشاه، بحيث لم يتبقّ من أراضيها حاليا سوى ٦٦ ألف كيلومتر مربع.

أسباب احتلالها

١- تعتبر الثروة النفطية الضخمة التي تحتويها الأحواز من أهم الأسباب التي دفعت إيران لاحتلالها، فحوالي ٩٠ ٪ من النفط والغاز الإيرانيين تنتجه الأحواز، ففي سنة ١٩٠٨م، تم اكتشاف النفط في مدينة مسجد سليمان، وفي السنوات اللاحقة تم إنشاء مصفاة للنفط في مدينة عبدان، تعتبر ثاني أكبر مصافي النفط في العالم، وأكبر مصفاة في المنطقة.

٢- وفرة المياه، حيث يمر في أراضي الأحواز ستة أنهار كبيرة، هي: الكارون والكرخة وشاوور والدز والجراحي والزهرة، إضافة إلى أنهار فرعية أو موسمية أخرى، وكذلك خصوبة أراضيها وصلاحيتها للزراعة.

٣- إعطاء بريطانيا الضوء الأخضر لشاه إيران رضا بهلوي لاحتلال الأحواز، رغم عهودها للشيخ خزعل بحماية بلاده من الأخطار الخارجية، ويقال إن سبب نكوث بريطانيا بوعودها يعود إلى انتصار الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا ما دفع بالقوى الغربية وخاصة بريطانيا إلى تغيير استراتيجيتها تجاه المنطقة، حيث أخذت تتخلى شيئا فشيئا عن دعمها لاستقلال إمارة خزعل لصالح كيان إيراني قوي وموحد يشكل حاجزا استراتيجيا أمام الشيوعيين الروس ومحاولاتهم الوصول للمياه الدافئة.

٤- موقع الأحواز الاستراتيجي، حيث تقع على رأس الخليج العربي، ومجاورتها لإيران والعراق والكويت، وقربها من حقول النفط وخطوط الملاحة.

٥- خشية البريطانيين والإيرانيين من النفوذ المتزايد للشيخ خزعل لا سيما بعد ترشيح نفسه لعرش العراق بعد خروج العراق من حكم العثمانيين.

٦- طموحات رضا خان المتزايدة وعنصريته، فقد أوصى ابنه وولي عهده بقوله: «لقد حررت الشاطئ الشرقي للخليج من العرب، وعليك أن تحرر الشاطئ الغربي».

كيفية احتلالها

في شهر تشرين الأول/ أكتوبر من سنة ١٩٢٤م، توجّه رئيس وزراء إيران رضا خان (وملكها فيما بعد) على رأس حملة عسكرية لاحتلال الأحواز، وقد نُقل عنه أنه قال: «إنني ذاهب للقضاء على الشيخ خزعل، فإن وُفّقت وإلاّ فسأواري جسدي في

مقابر المحمرة، ولا أرجع إلى طهران بالفشل».

وبعد معركة غير متكافئة تمكن من احتلالها، وتم تشكيل حكومة عسكرية برئاسة الجنرال فضل الله زاهدي، أما خزعل فغادر إلى البصرة لتنظيم صفوف عشائره وأتباعه لمحاربة الإيرانيين الذين لجأوا إلى الغدر والخديعة للقبض عليه، فقد أعلن الجنرال زاهدي أنه تلقى أوامر للانسحاب من المنطقة، وغادر مدينة الأحواز إلى المحمّرة، وطلب إقامة حفلة وداع لخزعل، وكان ذلك ليلة السابع والعشرين من رمضان (٢٠/٤/١٩٢٥م).

وبعد تلقيه تطمينات من المعتمد السياسي البريطاني في الأحواز، اطمأن خزعل إلى النوايا الإيرانية، وحضر الحفلة التي أقيمت على يخته الخاص الراسي على شط العرب مقابل قصر الفيلية، ومع ساعات الليل اندفع عدد من الجنود الإيرانيين إلى اليخت وقبضوا على خزعل وأحد أبنائه، وتم نقله إلى طهران على البغال، وهناك ظل مسجونا حتى سنة ١٩٣٦م، عندما تم قتله في ظروف غامضة، ويعتقد أنه مات بالسم، متجاوزا الرابعة والسبعين من العمر.

مقاومة الاحتلال

منذ احتلالها، والشعب العربي الأحوازي منخرط في مقاومة الاحتلال الإيراني، رغم كره بعض فئات الشعب الأحوازي وعشائره لخزعل وسياسته الموالية للإنجليز، وبطشه بالمعارضين، وبذخه، إلاّ أنهم رأوا فيه رمزا لسيادة الأحواز وعروبتها.

ولم تتأخر مقاومة الأحوازيين للاحتلال الإيراني، وقاموا بعدة ثورات أولها تلك التي عُرفت بثورة الغلمان، ومن أهمها: انتفاضة الحويزة (١٩٢٨م)، وانتفاضة حيدر بن طلال (١٩٣٠م)، وانتفاضة جاسب بن الشيخ خزعل (١٩٤٣م)، وانتفاضة بني طرف (١٩٤٥م)، وانتفاضة الشيخ عبد الله بن الشيخ خزعل (١٩٤٦م) في منطقة الغيلية، وانتفاضة الشيخ يونس العاصي (١٩٤٩م).

كما تأسست التنظيمات المقاومة مثل: جبهة تحرير عربستان، والمنظمة العربية لتحرير الأحواز، والمنظمة الوطنية لتحرير الأحواز (حزم)، وغير ذلك من التنظيمات التي تجاوزت العشرين من مشارب وتوجهات مختلفة، تكاد تجمع على استقلال الأحواز عن إيران كما كانت قبل نيسان/أبريل ١٩٢٥م.

ممارسات إيران العنصرية في الأحواز

منذ اليوم الأول لاحتلالها، اعتمدت إيران – ولليوم- سياسة إقصائية قمعية، ولا عجب في ذلك، فنظام الملالي الحاكم حاليا يتسم بالقسوة والبطش بالمخالفين، وكذلك كان النظام البهلوي السابق، ومِن جملة ما مارسته السلطات الإيرانية تجاه الأحواز وأهله ما يلي:

١- تغيير الملامح العربية للإقليم مثل تغيير اسمه من عربستان إلى خوزستان، وتغيير أسماء المدن والأحياء إلى أسماء فارسية، مثل تغيير اسم المحمّرة إلى خرمشهر، والخفاجية إلى سوسنكرد، والفلاحية إلى شادكان، تماما كما تفعل إسرائيل اليوم بحقّ الفلسطينيين، إذ تستميت بتهويد القدس، وإزالة الآثار العربية منها ومصادرة الأراضي وطرد أهلها منها.

٢- قضم أراضي الإقليم لصالح المحافظات الإيرانية الأخرى كما تم ذكره سابقًا.

٣- تهجير أبناء الأحواز إلى المدن المجاورة، وإحلال سكان من محافظات أخرى محلهم بعد مصادرة أراضي العرب وأملاكهم.

٤- منع الحكومة الحاكم «الأحوازية» من الترجمة للغة العربية وإليها، فوضعت بذلك أكبر عائق أمام المواطن الأحوازي لضمان حقوقه بمراجعة المحاكم.

٥- مصادرة الكتب العربية الموجودة في الأحواز سواء كانت ملك المكتبات أو الأشخاص.

٦- منع تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية على الرغم من وجود المادة ١٥ من الدستور الإيراني التي تنص على ضرورة تدريس لغة القوميات غير الفارسية في المدارس الابتدائية، ولكن السلطة الإيرانية لم تطبق هذه المادة.

٧- إهمال شئون التعليم، وانعدام الرعاية الصحية.

٨- التباطؤ في عملية إعادة إعمار ما دمرته الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠- ١٩٨٨م)، والتجاهل المتعمد لمشكلة الألغام التي خلفتها تلك الحرب؛ الأمر الذي يتسبب في مقتل وجرح المئات من أبناء الأحواز، ذلك على الرغم من المساعدات المالية الدولية التي تتلقاها إيران في هذا المجال.

٩- حرمان الشعب الأحوازي من مياه الشرب والزراعة من خلال تحريف مسار روافد نهر الكارون باتجاه المناطق الفارسية مثل أصفهان، أو من خلال السعي لتنفيذ مشاريع لتصدير هذه المياه إلى دول الخليج المجاورة.

١٠- انتزاع الحكومة الأراضي الزراعية من أصحابها العرب وإقامة مستوطنات فارسية تحت غطاء مشاريع صناعية زراعية مثل مشروع قصب السكر.

١١- عقد الحكومة الإيرانية لاتفاقيات مع دول أو شركات أجنبية في مجال استثمار ثروات نفط الأحواز، رغم أحقية الشعب الأحوازي في التحكم في هذه الثروات.

١٢- ممارسة أقصى درجات القمع والاضطهاد بحق المعارضين الأحوازيين، لدرجة أن مشهد الإعدامات باستعمال الرافعات في الأحواز صار مشهدا يوميا مألوفا. وقد اشتد البطش الإيراني مؤخرا بحق الأحوازيين في أعقاب توجه الكثير منهم إلى التسنن واعتناق مذهب أهل السنة، فإذا كان الانتماء للتشيع لم يشفع للأحوازيين لكونهم عربا، فكيف بمن جمع العروبة والسنة؟!

الدور العربي والإسلامي في قضية الأحواز

لا جدال بأن الدور العربي والإسلامي في قضية الأحواز دور ضعيف، وقد جاء احتلال الأحواز في وقت كانت فيه معظم البلدان العربية واقعة تحت الاستعمار، وتعاني من الضعف الشديد، ويذكر المؤرخون أن حكام الدول العربية المجاورة للأحواز آنذاك كالعراق (الملك فيصل الأول) والكويت (الشيخ أحمد الجابر) تخاذلوا عن نصرة خزعل وإمداده بالسلاح الذي طلبه لصد عدوان رضا خان.

وليس من المبالغة القول بأن معظم العرب، ورغم مرور ٩٠ عاما على احتلالها، لم يسمعوا بالأحواز وقضيتها ومعاناة أهلها، كما أن بعض الأنظمة تعاملت بشكل خاطئ مع قضية الأحواز، إذ يُذكر أن العراق (وهو المعني الأكثر بقضية الأحواز) رفض في سنة ١٩٦٨م توصية من مؤتمر المحامين العرب بتخصيص مقعد للأحواز في الجامعة العربية كما هو شأن فلسطين، بزعم أن الأحواز والكويت قضية عراقية داخلية.

كما اتخذ العراق قضية الأحواز ورقة للمساومة مع إيران في مقابل القضية الكردية، حيث كانت إيران تدعم أكراد العراق، فدعم العراق الأحوازيين، حتى إذا انتهت الحرب العراقية الإيرانية انتهى دور القضية الأحوازية من وجهة نظر النظام العراقي.

إن المطلوب أن تتبنى الدول العربية رسميا قضية الأحواز، واعتبارها دولة عربية واقعة تحت احتلال أجنبي، ومساعدة أهلها في الحصول على استقلالهم وتقرير مصيرهم، دون خوف من إيران، وإن ذلك من شأنه أن يخدم الدول العربية والأحوازيين على حد سواء، ومن ذلك إنهاء ادّعاء إيران بفارسية الخليج العربي، وتحقيق شيء من الأمن العربي المفقود، وتعرية إيران وسياساتها وأطماعها، وأن يكون العرب في موقف الهجوم بدلا من الدفاع وتلقي الضربات، وغير ذلك.

أهم المراجع

١- صباح الموسوي، الأحواز الإقليم العربي المغتصب، منتدى المفكرين المسلمين، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م.

٢- جابر أحمد، عرب الأهواز، دار الكنوز الأدبية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م.

٣- شبكة الراصد.

٤- موسوعة المعرفة.

الحركة الإسلامية وعلاقتها بإيران... استغفال أم استهبال؟

أسامة الهتيمي(*) – خاص بالراصد

ربما تكون الفائدة الأكثر بروزا من نتائج وتداعيات ما شهدته منطقتنا العربية والإسلامية خلال السنوات الأخيرة هي أن «إيران تتعرى» بعد أن سقطت الكثير من أوراق التوت التي تدثرت بها عقوداً وخدعت بها الكثيرين من المخلصين والمغفلين والمغرضين أيضا فبدت لهم وكأنها حامية حمى الإسلام والأوطان ورافعة لواء الجهاد ضد الصهاينة والأمريكان رغم أنها جزء من مخطط إضعاف الأمة وانهيارها بعد أن كانت ولا زالت بسياساتها خنجرا مسموما في ظهرها تتلون كالحرباء وتلدغ كالأفاعي لتحقيق أحلام وطموحات الملالي والعنصريين الذين ارتدوا عباءات العلماء.

ولقد انتبه الكثيرون مؤخراً ممن احتكموا للعقل والضمير لتلك الحقيقة فسارعوا بالعودة والتوبة بعد أن تبين لهم الخيط الأبيض من الخيط الأسود وأدركوا أن إيران تكرار لسيناريوهات الدولتين البويهية والصفوية، والأخيرة كانت السبب الرئيس والمباشر في وقف الزحف الإسلامي والتوسعات الإسلامية ومن ثم فقد وجب على الجميع أن يكونوا على حذر من خطواتها لا أن يكونوا أبواقا لها وداعمين لسياساتها التي في ظاهرها الرحمة وفي باطنها أشد العذاب.

لكن يبدو أن هذه الحقيقة بقيت باهتة غير واضحة الملامح لآخرين ظلت الصورة أمامهم ضبابية إما لاستمرار استغفالهم وإما لأنهم اصطنعوا أنها ضبابية ظنا منهم أن ذلك مما يدفعهم إليه تحقيق المصالح العليا على الرغم من أن ذلك في الحقيقة ليس إلا قبلة حياة يعطيها الضحية لجلاده لمواصلة جلده وتعذيبه، ونخشى أن يكون خيانة وعمالة من البعض!

مواقف مريبة

إن رصد بعض المواقف في الفترة الأخيرة والصادرة عن بعض الحركات الإسلامية أو المحسوبين على التيار الإسلامي في أنحاء متفرقة من عالمنا العربي والإسلامي السني يؤكد ما سبق، وقد أشرنا إليه من أن البعض ما زال يخدع نفسه بأن لإيران دورا في دعم المقاومة والنضال، رغم أن ما تقوم به إيران لا علاقة له بالإسلام من قريب أو بعيد وهو ما يوجب علينا وعلى غيرنا أن نواصل لفت الانتباه والتحذير من اتخاذ مثل هذه المواقف المغلوطة.

حماس والجهاد

ويبرز من بين هذه المواقف ما صدر مؤخرا عن حركتي المقاومة الإسلامية الفلسطينية «حماس» والجهاد الفلسطيني حيث سارعت الحركتان إلى إصدار بيانات إدانة وعزاء في أعقاب اغتيال الدرزي اللبناني التابع لحزب الله مؤخراً سمير القنطار

(*) كاتب مصري.

والـذي يلقبونـه بعميـد الأسـرى العـرب حيـث قـضى نحـو ٢٧ عامـا في سـجون الاحـتلال الـصهيوني بعـدما تم اتهامـه بـالتخطيط لتنفيـذ عمليـات ضـد الجنـود الصهاينة عام ١٩٧٩م.

والأمـر حتـى هنـا ربمـا يكـون مقبـولا ولـو ظاهريـا فالرجـل كـان في نظـر الكـثيرين مـن المقـاومين ضـد الاحـتلال الـصهيوني غـير أن تفاصـيل عمليـة اغتيـال القنطـار تكـشف عـن حجـم مـا تورطـت فيـه الحركتـان الفلـسطينيتان اللتـان كـان يجـب أن ينأيـا بنفـسيهما عـن ذلـك فحادثـة اغتيـال القنطـار هـي جـزء مـن كـشف وفـضح ممارسـات ذلـك التنظـيم المـسمى (حـزب الله) والـذي لم يخجـل أبـدا مـن التأكيـد علـى تبعيتـه لإيـران وملاليهـا إذ القنطـار البطـل المغـوار في نظـر المخـدوعين مـات بقـصف صـهيوني تم بتواطـؤ روسـي صـهيوني علـى أرض سـوريا الـتي ذهـب إليهـا ليتحـالف مـع قـوات نظـام بـشار الأسـد لـيس لقتـال الـصهاينة المحـتلين لهـضبة الجـولان وإنمـا للمـشاركة مـع هـذه القـوات في قتـل الـشعب الـسوري وإخراجـه مـن أرضـه وديـاره، وهـي المعانـاة الـتي تتواصـل علـى مـدار نحـو أكثـر مـن خمـس سـنوات فكانـت بـذلك خاتمـة الـسوء لهـذا البطـل المزعـوم حيـث المـشاركة مـع قـواتِ ظـالمٍ مـستبد قاتـل سـفاح اسـتعان بقـوات أجنبيـة تواطـأت مـع القـوات الـصهيونية الـتي ادعـى أنـه يقاومها.

وعليـه، فلـيس ثمـة مـا يـبرر علـى الإطـلاق مـا صـدر عـن حـركتي حمـاس والجهـاد وغيرهمـا مـن بقيـة الفـصائل الفلـسطينية الـتي يفـترض أن تكـون في حالـة تعـاطف ضـمني مـع كـل ثـورة شـعبية تـستهدف إسـقاط طاغيـة هنـا أو هنـاك لكنهـا ولأجـل أغـراض مـشوشة تناسـت وتجاهلـت مـا يجـب أن تلتـزم بـه مـن قـيم ومبادئ، وخضعت لاعتبارات مغلوطة.

بـل إن الإيمـان بالمقاومـة الحقيقيـة كـان يفـرض علـى الحـركتين - بـل وكـل الحركـات الفلـسطينية- أن تـدين وجـود القنطـار وغـيره مـن المقـاتلين المحـسوبين علـى حـزب الله في سـوريا للمـشاركة مـع الأسـد الـذي جلـب القـوات الروسـية المتفقـة سـلفا مـع الـصهاينة –فـضلاً عـن تـاريخ الـدعم الروسـي لإسـرائيل مـن لحظـة نـشأتها- إذ أن ذلـك في بـادئ الأمـر ونهايتـه يعـد دعمـا للوجـود الـصهيوني الـذي إنمـا يـستهدف بالأسـاس كـسر شـوكة الـشعب الـسوري الحـر المتطلـع للانعتـاق مـن قبـضة الاسـتبداد حتـى يـستنهض همتـه للمـشاركة في نحـر الأمـة بأسرها.

ويـا ليـت بيانـات الإدانـة مـن قبـل الحـركتين جـاءت باعتبـار أن عمليـة الاغتيـال تمـت بأيـدي صـهيونية لكنهـا وبكـل أسـف حملـت عبـارات مـديح وإطـراء علـى القنطـار الـذي لم يُخـفِ تورطـه في سـفك دمـاء أبنـاء الـشعب الـسوري عـبر مقـاطع مـصورة لـه، ثـم يـأتي بيـان حمـاس ليـصفه بالمناضـل وهـو نفـس مـا ذهـب إليـه النـاطق الإعلامـي باسـم حركـة الجهـاد الإسـلامي داود شـهاب الـذي قـال: «إن الـشعب الفلـسطيني عَـرف القنطـار مناضـلاً يـدافع عـن حقوقـه وعدالـة قـضيته». مـضيفا أن «القنطـار دفـع سـنوات عمـره خلـف قـضبان الـسجون الإسـرائيلية ثـم خـرج منهـا حـراً ليواصـل مـسيرة العمـل والكفـاح ضـد إسـرائيل»، لنتـساءل بـدورنا مـستنكرين: هـل كـان وجوده في سوريا استمرارا للمسيرة النضالية؟!

وموقـف الحـركتين هـذا قوبـل بـالرفض مـن قبـل العديـد مـن التـابعين لهمـا أو القـريبين منهمـا وفي مقـدمتهم مـثلا الـشيخ محمـد خـير موسـى عـضو هيئـة علمـاء فلـسطين في الخـارج والتابعـة لحمـاس حيـث شـدد علـى أنّ «سمـير القنطـار مجـرم شـبّيح يـساند الأسـد القاتـل بمـلء إرادتـه واختيـاره ولا قيمـة لماضـيه مـا دام اختـار أن يخـتم حياتـه ويـداه تغوصـان بالـدّم المسلم في سوريا».

وأضـاف موسـى في منـشور لـه علـى حـسابه علـى فيـسبوك أن «إدانـة قتلـه مـن قبـل حمـاس الـتي نفخـر أنها أمنـا وأنهـا منـا ونحـن منهـا زلّـة قدم ومجانبـة للحقّ والـصّواب حتـى ولـو كـان القتـل بيـد الكيـان الـصّهيونيّ المجـرم فلـيس في ذلـك صـكّ بـراءة لـه مـن جرائمـه بحـقّ الـشّعب الـسوريّ والفلـسطينيّ في سوريا».

وقال الإعلامي الفلسطيني البارز ماجد عبد الهادي: «كان قنطاراً، وأكثر، حين كان فدائياً في فلسطين. صار بلا وزن، ولا قيمة، حين صار شبيحاً في سوريا».

وخاطب الكاتبُ الفلسطيني ياسر الزعاترة حركة حماس وكتائب القسام قائلاً: «لا تكونوا عبئاً على محبيكم. إيران تشن عدواناً على الأمة وأي موقف مجامل لها مهما كان يسيء لكم والأمة غير الأنظمة».

وأضاف: «شطبتُ التغريدات المتعلقة بتفسير إدانة حماس لقتل القنطار بعد رؤية بيان القسام الذي بالغ في مدحه. موقف سخيف ويستحق الإدانة. لا تسيئوا لأنفسكم».

وتساءل الكاتب إبراهيم حمامي تعليقا على وصف القنطار بالمناضل قائلا: «ألم يبلغ حماس أنه قُتل في سوريا وهو ينسق جرائم حزب اللات هناك».

النهضة والسياحة الإيرانية

لم يكن خافيا على أحد طبيعة العلاقة بين جماعة الإخوان المسلمين والدولة الإيرانية قبل أحداث الثلاثين من يونيو عام ٢٠١٣ في مصر والتي كان من أهم نتائجها إزاحة الرئيس الإخواني الدكتور محمد مرسي غير أن هذه العلاقة تغيرت كثيرا بعدما تكشف لجماعة الإخوان موقف إيران من مرسي وطريقة إزاحته، حيث رحبت إيران بذلك ودعمت السيسي.

حيث توترت هذه العلاقة وأصبح الكثير من أبناء الجماعة ينظرون بعين الريبة والشك تجاه السياسات الإيرانية ما حمل المراقبين إلى الاعتقاد بأن هذا الموقف ربما ينسحب على كل التنظيمات والتكوينات التابعة للجماعة في البلدان العربية والإسلامية وهو ما لم يحدث إذ بقيت مساحة كبيرة من الخلاف والاختلافات فيما بين الجماعة في بلد المنشأ «مصر» والتنظيمات التابعة في البلدان الأخرى وفي مقدمتها حركة النهضة التونسية التي تنتمي لمدرسة الإخوان المسلمين إذ هي وبلا تردد تعلن موافقتها بل ودعمها للاتفاقية التي وقعتها وزيرة السياحة في الحكومة التونسية الحالية مع الدولة الإيرانية والتي بموجبها تسمح تونس بدخول نحو ١٠ آلاف حاج إيراني.

بل وقدمت الحركة مسوغات قبولها لهذه السياحة الإيرانية إذ عبرت عن رفضها لما وصفته بالتوظيف المذهبي للاتفاق السياحي بين تونس وإيران فيما قال أمين عام حزب الحركة علي العريض: «إن بعض الأطراف السياسية حاولت الخروج عن المضمون فيما يتعلق بالشراكة السياحية وإلباسها البعد المذهبي» مضيفا أنه «ليس هنالك مخاوف في ملف الشراكة ولا نريد تحويل الأمر إلى صراع مذهبي بين الشيعة والسنة».

وما ذهب إليه العريض أيده قيادي آخر في الحركة هو العجمي الوريمي والذي اعتبر أنّ «إيران دولة إسلامية، وتونس تسعى إلى تمتين الروابط من خلال الاتفاقيات التي تجمعها بالعرب والمسلمين ومختلف الشركاء وذلك في إطار احترام الثوابت واستقلالية القرار والاتفاقيات المشتركة».

وقال الوريمي إنه «لا بدّ من تدعيم الروابط سواء كانت مبادلات تجارية أو تعاونا فنيا أو ثقافيا أو تنقلا للبشر أو تبادلا سياحيا» وأن «تونس دولة تُشجّع على الانفتاح وأنه لا ينبغي أن تكون العلاقات بين الدول مبنية على خوف شعب من شعب آخر بل على التعاون وتقديم التسهيلات من الجانبين».

ويرى الوريمي أنه «طالما أن الدستور والاتفاقيات الدولية تضبط طبيعة التعاون بين الدولتين فلا خوف من ذلك» مشددا على أن «موقف تيار المحبة – الرافض للاتفاقية - مبني ربما على تقديرات وقراءة للأوضاع الإقليمية التي تعد إيران طرفاً فاعلاً فيها» ومعتبراً أنها «لن تؤثر بشكل أو بآخر على تونس وعلى استقرارها».

وبالطبع مثل هذه المبررات لم تنطلِ على الكثير من المكونات السياسية التونسية التي تدرك خطورة مثل هذه الاتفاقية حتى أن الهاشمي الحامدي زعيم تيار المحبة وصف الاتفاقية بأنها تهديد للأمن

القومي التونسي وتحويل البلاد إلى مختبر لأجهزة المخابرات الإيرانية محذرا من تقسيم طائفي قريب.

وأشار عضو تيار المحبة أيمن الزواغي إلى «وجود مخاوف من أن يؤدي هذا الاتفاق إلى انقسامات وفتنة داخلية»، متطرقاً إلى «النفوذ الإيراني في العراق وسورية ولبنان» ولافتا إلى أن الحبيب بورقيبة لما استشعر الخطر في العام ١٩٨١ أغلق المركز الثقافي الإيراني بتونس وقطع العلاقات مع طهران».

ودعا الزواغي حركة النهضة إلى «مراجعة موقفها، وسحب تأييدها لهذا الاتفاق مشيراً إلى أن «تونس لا تبيع أمنها القومي ببضعة مليارات قد تتأتى من السياحة».

وما نطق به كل من الحامدي والزواغي يعكس مدى الوعي بحقيقة إيران فيما بقيت حركة النهضة في سبات عميق جعل مواقفها تتناقض مع الواقع بل وتتناقض مع ما آمنت به الحركة وبذلت الكثير لأجل تحقيقه، فالحركة يبدو أنها نسيت ما فضحته الثورات العربية من علاقة خفية بين الدولة الإيرانية الشيعية وبين قوى الاستعمار، بل ونسيت أو تناست الدور الذي تقوم به من أجل إجهاض ثورة شعب عربي مسلم شقيق في سوريا.

كما بدا أن الحركة لم تدرك الدوافع التي دفعت بعض البلدان المجاورة أن تتخذ مواقف حاسمة إزاء التحركات الإيرانية الشيعية المريبة على أرضها والتي تكشف أنها قصدت نشر المذهب الشيعي وإثارة الفتن والقلاقل على أراضيها ومن ذلك مثلا قرار المغرب بغلق المراكز الثقافية الإيرانية وهو نفس القرار الذي اتخذته السودان.

وتجاهلت الحركة الجدل والمعارك التي اشتدت على درجة كبيرة زمن الدكتور مرسي في مصر حول فتح باب السياحة الإيرانية لمصر وهي المعركة التي انتصر فيها صوت الرافضين الذين قدموا الأدلة والشواهد القوية على أن مثل هذه السياحة ستكون مدخلا لنشر التشيع في البلاد، كما حدث في دمشق قبل عقدين من الآن.

ولعل النظر فيما تضمنته الاتفاقية يكشف عن بعض هذه النوايا الإيرانية فالاتفاقية التي وقعها من الطرف الإيراني نائب رئيس الجمهورية الإيرانية مسعود سلطاني تتضمن ١١ مادة تتعلق بإقامة مشاريع استثمارية وتسهيل الحركة السياحية ومساعدة وكالات الأسفار على تصميم برامج سياحية مشتركة وتبادل الخبرات والمشاركة في التظاهرات والمعارض، وهو ما يسمح لإيران بأن تكرر السيناريو الذي لعبته في مصر حيث تم استقدام إعلاميين وسياسيين ومثقفين مصريين للسفر لإيران بدعوى إطلاعهم على التجربة الإيرانية ليعودوا من جديد للترويج لإيران والنموذج الإيراني فيما يشبه الغزو الناعم.

كما كشفت تصريحات سلطاني عن أن النية تتجه لما هو فوق السياحة إذ قال «إن بلاده ترغب في دفع تعاونها مع تونس إلى مستويات أعلى خاصة في مجال السياحة» مضيفا «نرغب في تطوير تعاوننا مع تونس إلى مستويات أكبر».

سنة العراق ومشاهد الخزي

أما المشهد الثالث فلعله الأسوأ من بين كل المشاهد ذلك أنه يتعلق بموقف بعض رجالات السنة في العراق التي يعاني أهلها من السنة الأمرين من السياسات الإيرانية الشيعية القميئة والتي تجاوزت كل حد يمكن الصمت حياله ومع ذلك فإن البعض ممن تصدروا المشهد وحسبوا على أهل السنة بدلا من أن يتخذوا موقفا حاسما للكشف عن هذه الممارسات والعمل على حشد أهل السنة للوقوف يدا واحدة لفضح هذه الممارسات وصدها رأيناهم وقد اصطفوا يصفقون ويهللون للذين كانوا في مقدمة صفوف من جعلوا من إقصاء أهل السنة هدفا لابد أن يتحقق بأي ثمن، فها هو رئيس البرلمان العراقي سليم الجبوري والذي ينتمي للحزب الإسلامي بل ونائب أمينه العام منذ عام ٢٠١١ يعزي في وفاة رئيس المؤتمر الوطني العراقي أحمد الجلبي قائلا في بيان عزائه: «نعزي بألم بوفاة أحمد عبد الهادي الجلبي عضو مجلس النواب ورئيس المؤتمر

الـوطني» مـضيفا أن «الفقيـد كـان لـه دور كـبير في محاربــة الدكتاتوريــة والــشروع ببنــاء العــراق الــديمقراطي وأن رحيلــه فقــدان لشخــصية وطنيــة متزنة كرست حياتها لخدمة الوطن».

ولا نـدري كيـف تـصدر مثـل هـذه التـصريحات مـن الجبـوري بحـق رجـل يعلـم القاصـي والـداني الـدور الـذي لعبـه في اسـتتباب الحـال للاحـتلال الأمريكـي في العـراق إذ كـان عـضوا فيمـا سمـاه الأمريكيـون بـ «مجلـس الحكـم في العـراق» والـذي تأسـس في عـام ٢٠٠٤م عقـب إسـقاط نظـام صـدام حـسين وأسـندت إليــه مقاليــد الحكــم في الــبلاد تحــت إشــراف الأمريكـي بـول بريمـر فيمـا لم يفتـأ يبـذل جهـده مـن أجـل الـشيعة في العـراق فـسعى وبالتعـاون مـع بعـض الـسياسيين الـشيعة إلى تأسـيس مـا يـسمى بـ «البيـت الشيعي».

فهـل مثـل هـذه المواقـف الاسـتعمارية والطائفيـة هـي في نظــر أحــد القيــادات المحــسوبة علــى الحــزب الإســلامي الــسني –الواجهــة الــسياسية لجماعــة الإخــوان المــسلمين في العــراق– تكريــسا لخدمــة الوطن؟

الحقيقـة أن النظـر في مثـل هـذه المواقـف يكـاد يـذهب بالعقـل ويعكـس إلى أي مـدى أصـيبت هـذه التكوينــات بحالــة مــن الخــواء الفكــري والعقــدي فأضـحى مـا ترفعـه وتتبنـاه مجـرد شـعارات جوفـاء لا معنى لها.

ومــن النمــاذج الفجــة أيــضا كــل مــن محمــود المــشهداني وفخــري القيــسي ومهــدي الــصميدعي الــذين يعملــون علــى تــشكيل مــا زعمــوا أنــه تجمــع شــرعي للــسلفية، فالمــشهداني الــذي كــان يــرأس البرلمـان العراقـي منـذ عـام ٢٠٠٦ وحتـى ٢٠٠٩ وكـان قبـل ذلـك أحـد مؤسـسي جمعيـة الموحـدين الـتي تـصنف نفـسها بأنهـا سـلفية، قبـل أن تـستميله إيـران ويبـدأ في إطــلاق تــصريحات مريبــة علــى شــاكلة: «إن تمثيــل المكـون الـسني في منـصب «رئاسـة البرلمـان» لا فائـدة منــه بحكــم أن الكتلــة الكــبرى صــاحبة القــرار المـؤثر في البرلمـان والـتي تمتلـك الأغلبيـة المطلقـة لتمريـر أي قانون أو قرار هي «الكتلة الشيعية».

وفي تـصريحات أخـرى يحمّـل أهـل الـسنة مـسؤولية مـا يحـصل لهـم مـن دمـار قـائلا: لمـاذا نلـوم إيـران وهـي الــتي تــدافع عــن مــصالحها ونــترك لــوم أنفــسنا ومحاســبتها علــى تــشتتها إلى ٢٢ دويلــة هزيلــة و٤٩ دولـة تـسمي نفـسها إسـلامية سـنية وهـي كـل يـوم تسيء إلى سنيتها ولا أستثني أحدا منا ولا منهم.

وأضـاف أن «الكـلام مرفـوض عـن أهلنـا الـشيعة عربـاً ومـسلمىن بـإطلاق مـسميات كـ (الـصفويين) أو (الــروافض) لأن المنــابزة ســتكون بالنواصــب وغيرهـا مـن مـسمّيات العـصور المتخلفـة الـتى خاضـت الأمـة بـسببها حروبـا طاحنـة وأورثتنـا تخلفهـا وضـياع الجغرافيــا ابتــداء مــن ضــياع الأنــدلس إلى احــتلال بغـداد بكـل مـسمياتها وانتهـاء بـالغزو الاسـتعماري الـصليبي الـذي بـدأ بغـزو القـدس إلى الحـرب العالميـة الأولى وســايكس بيكــو الــذي نقــدس خريطتــه الـشيطانية وحـدودها لحـد الآن أكثـر ممـا نقـدس الـنبي الكـريم محمـدا- صـلى الله عليـه وآلـه وصـحبه وسـلم تـسليما كـثيرا - حتـى دانـت الأمـة لمسميات يـأنف أحـدنا أن يـسمي ابنـه بهـا تركـت دينـه نهبـا لكـل خـارجي تكفـيري أحمـق شـوه نـصاعة سـنته وتعـدى علـى حرمـات أهلـه دمـا وعرضـا ومـالا في الوقـت الـذي يعـد أعـداء العروبـة والإسـلام لمخططـاتهم لتقسيم المقسم وتجزئة المجزأ».

ويتـساءل المـشهداني «ألم يحـن الوقـت بعـد لنهـضة سـنية عربيـة فعليـة بـدل التبـاكي والـشكوى مـن دور إيــران ؟ لــو تــوفر ســعودي أو كــويتي أو إمــاراتي أو قطـري أو... كقاسـم سـليماني يقاتـل «إسـرائيل» مـن جنـوب لبنـان والإرهـاب علـى أرض العـراق وسـوريا ألم يكـن العـرب جميعـاً سنّة وشـيعة ومـسيحيين سـيهبّون للوقــوف خلفــه؟ فــلا تلومونــا ولومــوا أنفــسكم إن بقيـت لكـم ذرة مـن إنـصاف أو غـيرة علـى أمـتكم التي تئن كنكم قبل غيركم».

وتبدو تصريحات المشهداني محاولات لتبرير السياسات الشيعية والإيرانية في العراق فالرجل ورغم ترديده لبعض عبارات حق إلا أنه الحق الذي يراد به الباطل إذ هو يحاول أن يلفت النظر بعيدا عن الدور الذي يلعبه الإيرانيون والشيعة في تخريب الأمة وفي مقدمتها العراق أو كأن هذا الذي آل إليه السنة وبلادهم هو فعل شيطاني لم تساهم في الوصول إليه أيادي عابثة قصدت الوصول بهم إلى هذه المرحلة.

بل والغريب أنه يصور الضابط الإيراني قاسم سليماني الذي يدير الجيش العراقي فعلا وواقعا ويشرف على الكثير من العلميات التي تستهدف أهل السنة في العراق وله دور كبير أشارت إليه بعض التقارير في قتال أهل السنة والثوار في سوريا باعتباره نموذجا للذي يقاوم «إسرائيل» في جنوب لبنان على أن الجميع بات يعلم أن هؤلاء الذين يصنفون أنفسهم بأنهم المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان لم تعد إلا سلاحا موجها لصدور ثوار سوريا.

وفي النهاية فإن ما رصدناه في السطور السالفة ليس إلا بعضا من كثير من الشواهد على أن ثمة ما يعتري الكثير من الحركات الإسلامية من خلل كبير لا ينحصر في تقديم السياسي على العقائدي فحسب بل ويشمل أيضا عدم وعي لهذه الحركات بما يجب أن يكون من فعل سياسي يحقق المصالح، وإن كنا نظن أن بعض ذلك هو خيانة وعمالة كما تبدى في مواقف البعض مثل كمال الهلباوي الذي خرج يندد بإعدام نمر النمر الشيعي السعودي على قناة العالم دون إدانة الإجرام الشيعي الإيراني والعربي من عدة سنوات بحق آلاف الأبرياء في العراق وسوريا واليمن.

العدوان الإيراني في اليمن والجزيرة العربية
العمق التاريخي – الأدوات – المداخل
ورقة لمؤتمر إنقاذ الأمة
إسطنبول ٢٠- ٢٠١٥/١١/٢١

إعداد: أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

تمهيد :

أصبح المخطط الإيراني العدواني على المسلمين اليوم حقيقة لا يكابر فيها إلا أعمى البصيرة، فرغم الدعوات المتكررة منذ زمن طويل من بعض العلماء والدعاة والمخلصين المحذرة من خطر هذا المخطط الإيراني العدواني القادم على المسلمين فإن هناك الكثير من الناس على مختلف طبقاتهم واتجاهاتهم ومواقعهم كانوا يصمّون أعينهم وآذانهم وقلوبهم عن سماع الكلمة الناصحة والتحذير الصادق.

وبعد أن أصبح المخطط العدواني الإيراني واقعا نقاسي تبعاته ونذوق شروره، كان يفترض أن يكون عندنا مخطط مقاومة ومدافعة، ولكننا لا نزال في مرحلة التعرف على المخطط العدواني وتفهم حقيقة المؤامرة الماضية في تقطيع أوصالنا والتجذر في شقوقنا والتلاعب بسذجنا!

أسعى في هذه الورقة المطروحة للنقاش والحوار للأمور التالية:

- فهم الخلفيات التاريخية لهذا العدوان الإيراني بصورة مجملة.
- التعرف على الأدوات والوسائل المستخدمة في العدوان الإيراني عبر محطاته المتنوعة.
- حصر المداخل التي يَعبر منها العدوان الإيراني وتمكنه من تنفيذ مخططه.

(*) كاتب أردني.

- مناقشة الوسائل والسبل المطلوبة لوقف العدوان الإيراني.

وسأكتفي بالعناوين الرئيسة في أشكال العدوان التي هي معلومة للحاضرين، مع التركيز على الأسباب والأدوات التي يستعملها العدوان الإيراني لأن إبطالها هو المهم والمقصود.

والله الموفق والمعين،،،

أولاً: الخلفية التاريخية للعدوان الإيراني على الجزيرة واليمن

من الأخطاء الشائعة اعتقاد أن العدوان الإيراني على الجزيرة العربية ظهر مع نظام الملالي بقيادة الخميني سنة ١٩٧٩م، والبعض قد يظن أن العدوان بدأ قبل ذلك بقليل مع حكم الشاه محمد رضا بهلوي، خاصة في الفترة التي أعقبت إعلان بريطانيا عزمها على الانسحاب من الخليج سنة ١٩٦٨م، حيث اعترضت إيران على استقلال مشيخات الخليج وتحولها لدول مستقلة![1].

لكن الحقيقة أن الأطماع الإيرانية في الجزيرة العربية تعود لفترة أقدم من ذلك بكثير، إذ تذكر المصادر التاريخية أن رئيس وزراء الدولة القاجارية في بلاد فارس سنة ١٨٨٢م اعترض على عقد بريطانيا اتفاقيات مع شيوخ البحرين، على اعتبار أن البحرين تابعة لفارس![2].

ومنطلق تبعية الجزيرة العربية لفارس/ إيران كان راسخاً في وجدان كل الدول التي حكمت إيران في آخر مئتي عام على الأقل (القاجارية، البهلوية، الجمهورية الإسلامية)، برغم تنوع خلفياتها العائلية أو الفكرية، لكن الجامع المشترك بينها هو أنها دول شيعية، وإن تباينت في درجة التمسك بشيعيتها!

ومن هنا يجب أن تتسع دائرة الوعي بترسخ العدوان الإيراني تجاه الجزيرة العربية واليمن في وجدان الساسة الإيرانيين بمختلف مدارسهم وتوجهاتهم.

وهذا يشمل أيضاً المعارضة الإيرانية سواء الإصلاحيين في الداخل، أو مجاهدي خلق واللوبي الإيراني في أمريكا، فكلهم يتبنون نظرة عدائية للجزيرة العربية، باعتبارها أملاكا خارجة عن الطاعة!!

وللبرهنة على قدم العدوان الإيراني بالطمع بالجزيرة العربية قبل جمهورية الملالي نذكر بعض الأمثلة:

- سنة ١٨٨٧م أيام القاجاريين، طالبت فارس بالجزر الثلاث (أبو موسى وطنب الكبرى والصغرى)، وهي السنة التي احتلت فيها فارس إمارة لنجة العربية على الشاطئ المقابل![3].
- جددت إيران مطالبها بالبحرين سنة ١٩٠٥م[4].
- اعترضت إيران سنة ١٩٢٧م على عقد اتفاقية جدة بين الملك عبد العزيز وبريطانيا، لأنها تبطل مزاعمها بحكم الجزيرة العربية![5].
- وصّى رضا بهلوي ابنه الشاه محمد الذي تولى الحكم خلفاً له سنة ١٩٤١م أن يكمل مشواره في تحرير الضفة الأخرى الغربية من الخليج، كما حرر هو الشاطئ الشرقي منه![6].
- في سنة ١٩٤٨م طالبت إيران بجزيرة فارسي وعربي، وفي النهاية أخذت إيران جزيرة فارسي، والسعودية جزيرة عربي[7].
- عارضت إيران الشاه سنة ١٩٥٣م حضورَ أميري الكويت والبحرين حفل تتويج الملك فيصل

---

(١) العلاقات السعودية الإيرانية ١٩٨٢- ١٩٩٧، د. عصام السيد عبد الحميد، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦، ص ٣٣.

(٢) محركات السياسة الفارسية في منطقة الخليج العربي، عادل عبدالله، مركز التنوير للدراسات والبحوث، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩، ص ٩.

(٣) التطلعات الإيرانية في الخليج العربي، إيمان المطيري، مكتبة آفاق، الكويت، ط٢، ٢٠١٣، ص ٤٠.

(٤) المصدر السابق، ص ٣٩.

(٥) العلاقات السعودية الإيرانية وأثرها في دول الخليج ١٩٥١- ١٩٨١، د عبد الحكيم عامر الطحاوي، مكتبة العبيكان، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٦.

(٦) التطلعات الإيرانية في الخليج، ص ٣٣.

(٧) المصدر السابق، ص ٥٣.

الثاني على العراق، باعتبار أنهما تابعتان لإيران، ولا يجوز حضورهما في وجود ممثل إيران الذي يمثلهما![1].

- طالبت إيران سنة ١٩٦١م بالسيطرة على مشيخات الخليج ولو سيطرة رمزية، لأنها ضعيفة لا تستطيع الدفاع عن نفسها![2].

- عارضت إيران سنة ١٩٦٥م، نية الامارات سكّ عملة خاصة بها![3].

أما في مرحلة جمهورية الملالي، فقد تجددت التهديدات بهدم الدول الخليجية وغيرها وإلحاقها بإيران، منذ بدايتها وحتى اليوم.

الخلاصة:

الهيمنة والسيطرة المطلقة على الجزيرة العربية هما هدف وغاية الأنظمة الإيرانية منذ القديم، وهذه الأطماع الإيرانية في الجزيرة العربية لم تكن وليدة هذه الحقبة، بل قديمة العهد وترجع للقرن الثامن عشر[4].

الأطماع الإيرانية ليست مرتبطة بشخصية الشاه، فحتى حكومة مصدق جددت الادعاءات الإيرانية في البحرين، فهي سياسة إيرانية تقليدية[5].

«هناك سمة ثابتة في سياسة إيران الإقليمية تجاه دول الجوار الجغرافي منذ عهد الشاه محمد رضا بهلوي وحتى وقتنا الحاضر، وهذه السمة هي أن إيران تحاول أن يكون لها دور إقليمي مميز. وأن تعطي نفسها مكانة الزعامة على دول الإقليم، وبخاصة منطقة الخليج العربي حيث تجد إيران أن دوراً إقليمياً مميزاً ومكانة إقليمية تتبوأ من خلالها مركز الصدارة، هو الذي يحقق لها أهدافها ومصالحها، وهذا الأمر جعل مصالحها وأهدافها تتعارض مع مصالح وأهداف الدول المجاورة وبخاصة العربية، مما دفعها إلى اتباع سياسة معادية ومؤذية تجاه هذه الدول وبخاصة العربية»[6].

ثانياً: الأدوات والوسائل المستخدمة في تنفيذ العدوان الإيراني عبر محطاته المتنوعة

تكاد الأدوات والوسائل التي استخدمها العدوان الإيراني تكون ثابتة، ولكن تستفيد من تطور هذه الأدوات والأساليب مع الزمن، وهي:

أ- في عصر الدولتين القاجارية والبهلوية:

١- تهجير وتوطين إيرانيين في الجزيرة العربية، مع الحرص على عدم ذوبانهم في المحيط العربي.

والوجود الإيراني في الجزيرة العربية أصبح مقلقاً للساسة، ومصدر تهديد أمني كبير، وتشير بعض الإحصاءات للنسب التالية: قطر ٢١,٦٪، الإمارات ١٠,٧٪، الكويت ٧,٨٪، السعودية ٠,٥٪، عُمان ٠,٣٪[7].

وهذا التوطين للإيرانيين وصل لحد التجنس بجنسية الدول الخليجية وتسلم أعلى المراكز والمناصب، أو الاستقرار هناك مع بقائهم على الجنسية الإيرانية، لكنهم يصبحون من قادة المجتمع بمكانتهم الدينية أو التجارية، وكلا الجهتين تحرصان على خدمة العدوان الإيراني من موقعها.

وهناك قسم ثالث خطير وهم الذين تسللوا لدول الخليج بشكل غير رسمي وبأعداد ضخمة، ثم يقوم القسمان السابقان بترتيب أوضاعهما، وغالباً يكونون ممن تلقوا تدريبات عسكرية في الخدمة العسكرية الإجبارية، أو هم على صلة بالأجهزة العسكرية الإيرانية، وهم نوعية ممتازة للخلايا النائمة[8].

---

(١) المصدر السابق، ص ٣٥.
(٢) المصدر السابق، ٢٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٧٠.
(٤) المصدر السابق، ص ١٥١.
(٥) العلاقات السعودية الإيرانية، الطحاوي، ص ٧٥.
(٦) سياسة إيران تجاه دول الجوار، د ضاري سرحان الحمداني، العربي للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠١٢، ص ٥.
(٧) سياسة إيران، ص ٢٢٣، نقلا عن د. بهاء بدري وحسين العزاوي، دور إيران في التأثير على جيوبولتيكية منطقة الخليج. وأيضا التطلعات الإيرانية في الخليج، ص ٧٤.
(٨) التطلعات الإيرانية في الخليج، ص ٧٢.

وقد أعادت التركيز على استثمار المهاجرين الإيرانيين لصالح العدوان الإيراني الخطة الخمسينية لنظام الملالي[1].

وقد رأينا التأثير البالغ لأمثال هؤلاء في التلاعب بأمن واستقرار دول الخليج، ومن أمثلة ذلك: المدعو محمود حيدر في الكويت، فمِن مهاجر إيراني يشغل وظيفة مراسل، إلى متجنس لا يحسن النطق بالعربية ويملك إمبراطورية مالية وإعلامية تتلاعب بأمن الكويت!

ويحرص فيه هؤلاء على البقاء محتفظين باللغة الفارسية والعادات والتقاليد الإيرانية، من خلال الصلة والزيارة الدائمة لإيران، ومن خلال إنشاء المدارس الخاصة بهم من تبرعات أغنيائهم، ففي البحرين أنشأ التجار الإيرانيون مدرسة خاصة بهم سنة ١٩١٣م، ثم دعمتها الحكومة الإيرانية سنة ١٩٢٣[2]، لكنهم مؤخرا أصبحوا يطالبون الحكومات المحلية بالقيام بذلك باعتبارهم مواطنين في الدولة!

المهم: هل توجد لدينا دراسات عن هؤلاء المهاجرين: نسبتهم؟ تغلغلهم؟ دورهم؟ تأثيرهم؟؟؟؟

والمفارقة أن الإيرانيين الشيعة بقوا على صلة بإيران ويخدمون مصالحها ويخوّنون الدول التي يعيشون فيها أو تجنسوا بجنسياتها، ويحصلون على مزايا ضخمة، بينما الإيرانيون السنة الذين هربوا في عدة موجات من عدوان الدول الإيرانية كثير منهم لا يحصل على تلك المزايا برغم ولائهم لهذه الدول!

٢- المدخل الاقتصادي، بشقيه:

- **المساعدات والتنمية:** فقد أقامت إيران منذ الخمسينيات من القرن الماضي مستوصفات طبية في عجمان ودبي تعالج وتمنح الأدوية مجاناً، وعرضت بناء المدارس والمستشفيات[3].

وهو الأسلوب الذي يمارسه نظام الملالي حالياً مع اليمن، فعبر بناء المستشفيات والمراكز الثقافية يتم صناعة خلايا (نائمة / فاعلة) للعدوان الإيراني[4].

- **التجارة:** فقد حرصت إيران منذ الدولة القاجارية على إقامة علاقات تجارية مع الخليج، وهذا واضح في حالة دبي والإمارات والبحرين، ثم الكويت وقطر والسعودية.

وحرصاً من الشاه على تفعيل هذه الأداة قامت وزارة الاقتصاد الإيرانية سنة ١٩٦٢م على إنشاء إدارة خاصة لتجارة الخليج، وقد انزعجت إيران جداً من نية حاكم الإمارات بتخصيص نسبة مئوية من عائدات النفط للتنمية، لأنها كانت تطمح لبقاء تبعية الإمارات لها من خلال المساعدات والتنمية والتجارة، وبين عامي ١٩٦٦- ١٩٦٧م بلغت استثمارات إيران الصناعية في الإمارات ١٥٠ مليون دولار[5].

واليوم تبلغ استثمارات إيران في اليمن أكثر من ٣٠٠ مليون دولار[6]، والتجارة عند إيران ليست علاقة بين تجار، بل جزء كبير من تجارة إيران يعود في الحقيقة للحرس الثوري الإيراني، سواء عبر الشركات الإيرانية في إيران، أو في الدول الأخرى.

الخلاصة: يقول تقرير صادر عن مركز دراسات تابع لوزارة الخارجية الإيرانية: «إن علينا استغلال الأزمة الاقتصادية التي تعيشها مصر والأردن وتركيا وباكستان والسودان، لتحويلها إلى ثورة سياسية واجتماعية ضد الأنظمة الحاكمة في هذه الدول»[7].

---

(١) المشكلة الشيعية، أسامة شحادة، موقع الراصد ط١، ٢٠٠٨، ص ٢٧٢، الخطة الخمسينية السرية لآيات قم وانعكاساتها على واقع مملكة البحرين، د. هادف الشمري، ط٢، ص ٢٨.

(٢) التطلعات الإيرانية في الخليج، ص ٦٣.

(٣) المصدر السابق، ص ٦٧.

(٤) الموسوعة الشاملة: التجمعات الشيعية في الجزيرة العربية، أسامة شحادة وهيثم الكسواني، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١ سنة ٢٠٠٨، ص ١٦٥.

(٥) التطلعات الإيرانية في الخليج، ص ٦٩.

(٦) سياسة إيران، ص ١٠٤.

(٧) المصدر السابق، ص ٢٣٠.

ب – في عصر الجمهورية الإسلامية، نظام الملالي:

من السمات المهمة في هذه المرحلة صعود العامل الطائفي الشيعي في قيادة العدوان وإعطاؤه غطاء دينيا، بأنه ممهد لظهور دولة المهدي إمام الزمان، وإدخال عنصر نشر التشيع في المنطقة وعدم الاقتصار على تفعيل الشيعة المهاجرين والمواطنين فقط.

١- مرحلة تصدير الثورة

عقب سقوط الشاه وتولي الخميني مقاليد الحكم في إيران، أعلن الخميني عن تبنيه سياسة تصدير الثورة، والتي تقوم على تحطيم الدول المجاورة وخاصة بلدان الخليج وإخضاعها لسلطة الولي الفقيه بالقوة، ففي الذكرى السنوية لانتصار الثورة في ١٩٨٠/٢/١١م صرح الخميني: (إننا نعمل على تصدير ثورتنا إلى مختلف أنحاء العالم)[١].

فشهدنا محاولة انقلاب في البحرين سنة ١٩٨١م، وتفجيرات ومحاولة اغتيال أمير الكويت في سنتي ١٩٨٤- ١٩٨٥م، ثم تفجيرات الشيعة ضد الحجاج في مكة سنوات ١٩٨٦، ١٩٨٧، ١٩٨٩م.

استخدمت إيران في هذه المرحلة عددا من الأدوات، منها:

١- تنشيط الخلايا النائمة من المهاجرين الإيرانيين الشرعيين وغير الشرعيين، ومن المواطنين الشيعة الموالين لإيران والخميني، والذين شاركوا في سلسلة التفجيرات والانقلابات السابق ذكرها.

ولا تزال الأيام تكشف توسع قاعدة هذه الخلايا النائمة، كما ظهر من كشف خلية حزب الله بالكويت والبحرين مؤخراً سنة ٢٠١٥.

٢- العمل على استقطاب التجمعات الشيعية في الخليج لصالح إيران الملالي، وتجسد هذا في موقفهم الداعم لإيران في حربها مع العراق.

(١) تصدير الثورة كما يراه الإمام الخميني، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الخميني، طهران، ط١، سنة ١٩٩٧، ص ٣٩.

واليوم أصبح ولاء هؤلاء المواطنين الشيعة لإيران علنا على حساب ولائهم لبلدانهم، وقد طالب الخميني شيعةَ السعودية عام ١٩٧٩م بالثورة على النظام السعودي، ومن يومها لم تقم ثورة لكن لم تتوقف العمليات المسلحة المتمردة للآن ضد النظام! وكذلك في البحرين كما تجسد في أحداث دوار اللؤلؤة وفي الكويت بشكل أقل إجراماً.

٣- اختراق المجتمعات الخليجية واليمنية من خلال الحركات الإسلامية وخاصة جماعة الإخوان المسلمين والمستقلين وعامة الناس، حيث باركت قيادة الإخوان للخميني بالثورة وتبنت التقريب بين الشيعة والسنة، وفي إعلان تراجع الشيخ القرضاوي والدكتور النفيسي بكل شجاعة وقوة عن هذا التأييد قبل سنوات معدودة مثال لعمق هذا الاختراق، وتعاظم الحوثيين في اليمن من جماعة هامشية إلى جماعة تخطف اليمن مثال آخر على اختراق هذه المجتمعات.

نتج عن هذا كله وجود تعاطف سني مع إيران وحاضنة اجتماعية شيعية للأطماع الإيرانية في الخليج، مع حالة خوف من إيران لدى الأنظمة والشعوب.

٢- مرحلة ما بعد الخميني «الخطة الخمسينية»:

عقب هزيمة إيران في حربها مع العراق وتجرّع الخميني للسم بتوقيعه أمر إيقاف الحرب، وعقب وفاته كانت إيران في وضع حرج جداً، ولذلك قادها رفسنجاني بواقعية للحفاظ عليها، وتم استبدال تصدير الثورة العسكرية بتصدير الثورة الثقافية، كما ينص على ذلك كتاب «تصدير الثورة كما يراه الخميني» والذي يقول: المطلوب هو (تصدير المعنويات التي وجدت في إيران) (فنحن لا نريد أن نشهر سيفا أو بندقية ونحمل على الآخرين) (نتطلع إلى تصدير ثورتنا الثقافية)[٢].

(٢) ص ٧٣.

وأما عن وسيلة ذلك فيصرح الكتاب بأنها (عن طريق الإعلام والتبليغ)، و(في حدود قدراتنا الإعلامية وعن طريق ما بحوزتنا من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقروءة وكذلك من خلال الوفود التي تبعث إلى الخارج)[(١)].

أما عن منفذي تصدير الثورة الثقافية فهم (العاملون في السفارات) و(مجلات الطلبة في الخارج) و(الاتحادات الإسلامية في الخارج) و(الزيارات الشعبية) و(الحجاج الإيرانيون)[(٢)].

ورافق ذلك اعتماد الخطة السرية الخمسينية[(٣)]، التي ارتكزت على تحسين العلاقات مع الآخرين لمزيد من التغلغل، وتوطين مزيد من العملاء/المهاجرين الإيرانيين المختارين والمدربين، والعمل على الوقيعة بين شباب وعلماء أهل السنة وحكامهم، كمرحلة أولى لزعزعة الحكم ونفض الحاضنة الشعبية السنية عنه، يجب استغلال القانون والسلطة والتعاون معها وليس الصدام، فالعامة تبع للقوة السياسية أو الاقتصادية أو الإعلامية ويجب العمل على امتلاكها، ولذلك يجب أن نسيطر على اقتصاد هذه الدول عبر عملائنا[(٤)].

وفعلاً من يتتبع مرحلة التسعينيات من القرن الماضي سيجد أن فترة الرئيس محمد خاتمي شهدت انفتاحا اقتصاديا وسياسيا خليجيا على إيران، وارتفعت أسهم الشيعة الخليجيين، وحصلت جفوة بين الحكام وشباب أهل السنة وبعض العلماء، ثم تفاقمت الفجوة، وتقرّب الشيعة من الحكام.

وفي مرحلة حكومة أحمدي نجاد تفاقمت الأمور:

فزاد النشاط الشيعي بين شيعة الخليج واليمن، وزادت الفضائيات الشيعية الدعوية، وتنامت قوة الشيعة وعملاء إيران في دول الخليج واليمن.

وكان التركيز على تفعيل أدوات القوة الناعمة الإيرانية في الخليج، فزاد عدد النواب الشيعة في برلماني الكويت والبحرين، وتضخمت مطالب المؤسسات الشيعية في المنطقة، وظهرت العديد من المؤسسات الإعلامية والسياسية الشيعية، وبرز الكثير من الرموز الشيعية إعلاميا وسياسيا.

ومن يتأمل في تصريح خامنئي: «وسائل الإعلام في هذا العصر لها قدرة تدميرية تعادل القنبلة الذرية»[(٥)] ، يدرك مدى مركزية الإعلام وبقية أدوات القوة الناعمة في العدوان الإيراني.

ولعل في رسالة بدر الدين الحوثي لجواد الشهرستاني – صهر وابن شقيق المرجع الشيعي السيستاني- مثال واضح وصريح حول إلى أي مدى وصلت السيطرة الشيعية على بعض دول الجزيرة واليمن عبر الوسائل الناعمة[(٦)]: «لدينا معرفة كاملة بما يدور في دهاليز النظام الحاكم؛ نظرًا لوجود عناصر أمنية مسئولة في السلطة قريبة من أعضاء الحركة، ونحن نعرف خصومنا من كبار المسئولين، وهم لا يعرفون أن لدينا خمسة من الوزراء بين مؤيدين ومناصرين لحركتنا، مع وجود أربعة محافظين من الأتباع، أو يضمرون الشر للحكم الظالم جهارًا نهارًا، ويعملون على دعم الشباب المؤمن دون خوف» (٢٦).

وحول فعالية أساليب هذه الحرب الناعمة يقول صاحب كتاب «التمكين الشيعي، استراتيجيات تمكين الشيعة وتعزيز أوضاعهم في العالم»: إن التجارب أثبتت أن توظيف تلك الأدوات والوسائل المعولمة يؤدي إلى نتائج إيجابية لصالح الشيعة حتى ولو بشكل جزئي أو محدود الأثر»[(٧)].

وأصبح الحضور الشيعي الديني بارزاً ويسعى

---

(١) ص ٧٧ و٧٩.

(٢) ص ٨٠ وما بعدها.

(٣) نشرت بداية في مجلة البيان ثم طبعت مستقلة، بإشراف أبي المنتصر البلوشي.

(٤) أضواء على الخطة السرية، أسامة شحادة، موقع البرهان.

(٥) تقرير منشور في الإنترنت بعنوان «رؤية الإمام الخامنئي نحو الحرب الناعمة».

(٦) الحوثي في اليمن الأطماع المذهبية في ظل التحولات الدولية، مجموعة من الباحثين، مركز الجزيرة العربية، صنعاء، ص١٥٢- ١٥٣.

(٧) تمكين الشيعة، صادق جعفر، منشورات الرضا، ط١، ٢٠١٥، ص ١٣٦.

لأخذ أكبر من حجمه، ولا يخجل من التصريح بتأييد مطالب إيران المناقضة للمصالح الوطنية للدول التي ينتمون إليها!

نمر النمر في السعودية يطالب بالانفصال.

في الكويت يحتفلون بعماد مغنية الذي حاول اغتيال أمير الكويت.

في البحرين حاولوا الانقلاب في أحداث الدوار.

في اليمن حروب طائفية متعددة.

أيضاً في هذه المرحلة تم تفعيل الحج بطريقة مختلفة، فبدلاً من مسيرات البراءة من المشركين والتفجيرات، أصبح موسم الحج وعلى أرض التوحيد فرصة ومعسكرا للنشاط الشيعي حيث يتم علناً الاجتماع بين قادة إيران وشيعة السعودية وبقية دول العالم وتنسيق العمل! وأيضاً هناك خطة مكتوبة توزع على الإيرانيين لنشر التشيع بين الحجاج وخاصة البسطاء وغير العرب[1]!

بل وصل الحد بالإيرانيين أنهم احتجوا رسمياً - وعلى أعلى المستويات- على بعض الجهات التي تقوم بالدعوة إلى التوحيد باللغة الفارسية، فصدر قرار أن لا تستهدف تجمعات الإيرانيين بالدعوة، ولكن من جاء منهم لمراكز الدعوة بنفسه يتم إهداؤه المطبوعات ويرشد!

والسؤال: هل يتم بالمقابل استغلال فرصة الحج لتحصين هؤلاء الحجاج من المخطط الإيراني الشيعي، الذي لو نفذ لوفر على الأمة جهودا عظيمة جداً وبكلفة بسيطة جداً؟!

الخلاصة

كانت النتيجة تعمق النفوذ الإيراني في دول الخليج واليمن، وزيادة كفاءة التجمعات الشيعية في مجالات السياسة والاقتصاد والإعلام والحقوق، وصناعة كوادر مجهزة وبأعداد كافية، مع دخول الشيعة في تحالف مع الأنظمة القائمة!

في مقابل ذلك تشتت الجهود السنية واعتمدت على البعد الديني غالباً، وكان الشيعة جاهزين لإطلاق تهمة الطائفية على أهل السنة!!

سؤال: هل يمكن مقارنة مؤسسات الشيعة وكوادرهم بمؤسسات السنة وكوادرهم؟

هل تتوفر دراسة أو رصد لهذه المؤسسات الشيعية وكوادرها؟

وعقب مرحلة الثورات العربية لجأت إيران للاعتماد على التيار اليساري والناصري بأحزابه وشخصياته ومنابره الإعلامية في الترويج لها وتنفيذ أجندتها، وذلك بعد الفجوة نوعاً ما بين إيران وجماعة الإخوان المسلمين.

ثالثاً: المداخل التي يَعبر منها العدوان الإيراني وتمكنه من تنفيذ مخططه

نقصد بالمداخل: الثغرات التي ما كان يجب أن تكون مفتوحة لعدوان إيران أو التي تسلل منها الإيرانيون وحلفاؤهم في غفلة من الوعي، ويمكن أن نعدد المداخل التالية التي استفادت منها إيران في تنفيذ عدوانها:

١- الحركات الإسلامية والشخصيات المستقلة التي رحبت بالثورة الخمينية والتقريب بين السنة والشيعة، فهذه القوى قاومت بضراوة أي جهد تحذيري من الشيعة والثورة الخمينية والأطماع الإيرانية، مما سهل استفحال المشكلة لحد كبير، وحين استفاق كثير من هذه الحركات والشخصيات للخطر الإيراني إلا أنها حاولت تبرير ذلك أو نفي الحقيقة وقصرت في المقاومة للخطر الذي رسخته!

ومن هنا فإن علاج هذا المدخل يكون بالضغط على هذه الحركات والشخصيات لإبداء مواقف صريحة وواضحة وعلنية من خطر العدوان الإيراني وإشراكهم في برامج عملية علنية تقاوم العدوان الإيراني، والتنديد بأي تقاعس في ذلك أو تبرير تقصير أي جهة تماثلهم ولو في دول أخرى.

٢- اقتصار المقاومة السلفية للعدوان الإيراني

---

(١) مفكرة الإسلام، مفكرة الإسلام تميط اللثام عن مخطط إيراني لاستغلال الحج في الدعوة للتشيع!!
http://islammemo.cc/print.aspx?id=25793

على الجانب الشرعي، فرغم أسبقية الوعي بالخطر الإيراني والشيعي، إلا أن أغلب جهودهم انحصرت في جانب رد الشبهات ومقاومة التبشير الشيعي العقدي.

وفي تلك الأثناء كانت إيران ماضية في التغلغل في مفاصل الدول من الداخل وإحكام شباكها من الخارج، فاستفاق السلفيون والعامة على الشيعة وهم ممسكون بزمام الأمور في كثير من البلاد باسم القانون وعبر مؤسسات الدولة، وإيران تدعمهم بنفوذها من الخارج!

هل يمكن طرح أسماء سلفية خليجية ويمنية تتولى المدافعة السياسية والإعلامية باحتراف؟

ما هي المؤسسات السلفية السياسية والحقوقية والإعلامية التي تتصدى للعدوان الإيراني بشكل مرخص وعلني وفي إطار القانون في دول الخليج واليمن؟

٣- اختراق إيران لجماعات القتال والعنف، حيث نجحت إيران في جرّ بعض المجموعات في الخليج واليمن[1] للصدام مع الدولة والمجتمع بحسب ما نصت عليه الخطة الخمسينية، وقد كان الاختراق فكرياً في بعض جوانبه، وبالتمويل والدعم والتدريب، وبتوجيه من بعض القيادات لهم التي كانت في قبضة إيران، واليوم نشاهد (داعش) تنفذ تفجيرات في السعودية والكويت بدعم إيراني وشيعي لمصلحة ضرب عاصفة الحزم وإيقاف الدعم عن الثورة السورية.

٤- عدم وعي الحكومات الخليجية واليمنية بخطر العدوان الإيراني وخطواته

للأسف تعاملت الأنظمة الخليجية واليمنية مع المخطط الإيراني بعقلية الموظف ذي الخلفية العلمانية والليبرالية في مواجهة العقلية الإيرانية الدينية والطائفية والأيدلوجية، فكانت الغلبة لإيران!

فمثلا تصريح الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع سنة ١٩٩٩م أن قوة إيران هي قوة للمسلمين!![2] مثال للسياسة غير السليمة تجاه إيران، التي تتلاعب بساسة دول الخليج، ففرقتهم وشتت موقفهم تجاه عدوانها من خلال استغلال ظرف كل دولة على حدة، فالكويت استمالتها من جهة غزو العراق لها، وقطر من باب حقل الغاز المشترك، والإمارات من خلال التجارة المشتركة بالمليارات، وعُمان من باب أمن مضيق هرمز والاستثمارات الإيرانية، واليمن من خلال المساعدات والدعم، وهكذا.

وحتى في موضوع الأمن القومي للخليج واحتلال إيران لجزر الإمارات الثلاث تمكنت إيران من تفتيت موقف دول الخليج، وكذلك من انقلاب الحوثيين في اليمن، تمكنت إيران من تخفيف درجة مشاركة بعض الدول في عاصفة الحزم.

وعلى الصعيد الداخلي استغلت إيران حالة الانفتاح والتواصل فعززت من وضع أتباعها وحلفائها، وتمكنت من تحجيم خصومها، ولعل أشهر حادثة لذلك هي معاقبة الشيخ الحذيفي على تصديه لعدوان رفسنجاني في المسجد النبوي، فضلاً عن منع ومطاردة كثير ممّن يتعرض للشيعة بشكل علني في دول الخليج باسم عدم إثارة الطائفية والنعرات.

وما لم تتبدل عقلية رجال الدولة في النظر للعدوان الإيراني وإدخال البعد الديني والعقدي والطائفي فيه فستبقى نظرتهم قاصرة، قد تصد بعض الاختراقات الأمنية المباشرة، لكنها ستفسح المجال لترسخ الولاء الطائفي لإيران بين شعبها من الشيعة والسنة، مما يمهد لانقلاب قادم بعُد الزمان أو قرب!

---

(١) إيران والحوثيون، أحمد أمين شجاع، مركز البيان، ط ١ سنة ١٤٣٤هـ، ص ١٨٥.

(٢) كتاب ندوة نحو آفاق جديدة للعلاقات بين دول مجلس التعاون الخليجي وإيران، مركز دراسات الخليج والجزيرة العربية جامعة الكويت، ط١، سنة ٢٠٠٠، ج١ ص ١٠٤.

رابعاً: الوسائل والسبل المطلوبة لوقف العدوان الإيراني

الغاية التي نريد الوصول إليها هي وقف توسع هذا العدوان أولاً، ثم تقويضه، ثم الوقاية منه مستقبلاً بالعمل الاستباقي والوقائي بنقل الصراع لملعبه.

ولذلك بدايةً نحتاج الوعي الصحيح والشامل بالعدوان الإيراني، وهذا يحتاج إلى:

- الإسراع في جمع شتات الخبراء والمختصين بالعدوان الإيراني من مختلف جوانبه في مركز استراتيجي، يدير الصراع مع العدوان الإيراني، وقد حاولت هيئة السنة العالمية إقامة هذا المركز لكن غياب الإرادة الفاعلة والدعم المالي جعل الفكرة معلقة في الهواء للآن.
- تكوين مطبخ إعلامي ينسق بين المنابر الإعلامية القائمة مع احتفاظ كل منها بخصوصيته، لكنه يقدم الأفكار والاقتراحات ويطلق الشعارات وينتهز الفرص ويوحد معالم الخطاب الإعلامي ويوسع دائرة الخطاب من الخطاب الشرعي للخطاب الفكري والسياسي والأمني لكسب شرائح جديدة، ويعمل على تفعيل وتطوير ورفع كفاءة ومساحة العمل الإعلامي المقاوم للعدوان.
- عمل برامج تأهيل للنخب السياسية السنية الملتزمة في موضوع العدوان الإيراني لتتفوق على النخب الإيرانية والموالية لها، بطرح قوي وعلمي ولغة سياسية راقية تتجنب الاتهامات الطائفية المعلبة وتكسب الفرقاء السياسيين الذين بين المعسكرين وتتواصل بذكاء مع السلطات.
- تفعيل العمل الحقوقي والقانوني في محاربة العدوان، والانتقال لمرحلة الهجوم والرصد والملاحقة لكل الخروقات في هذا الباب على ساحة الجزيرة واليمن وعلى الساحة العالمية.
- الوصول لرؤية شرعية وسياسية للعدوان الإيراني ومنطلقاته تكون محل اتفاق بين كل فصائل التيار الإسلامي، لقطع الطريق على أي تسلل إيراني من خلال التيار الديني.
- فضح الإرهاب الإيراني بتلاعبه ببعض المجموعات والجماعات المقاتلة وعلى رأسها داعش، لوقاية مجتمعاتنا وأبنائنا من شرورها وخدمتها للمشروع الإيراني.
- العمل على إنهاء حالة الشك والقطيعة بين الأنظمة والتيار الإسلامي بالاتفاق على مقاومة العدوان الإيراني وأسس التعاون والتعامل السياسي، بحيث نتجنب القطيعة والعداء ولو اختلفت المواقف والآراء.

حول مرجعية اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة

فاطمة عبد الرءوف(*) - خاص بالراصد

تشتبك اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة عضويًا بالفلسفة الغربية الحديثة في نظرتها العامة للإنسان والكون، فبعد انهيار المرجعية الدينية الغربية الكنسية تحت طرقات العلوم التجريبية أصبح الدين عند البعض منهم جزء من التراث الغربي ينضم للأساطير اليونانية والرومانية القديمة، وعند البعض الآخر تحول لهوية رمزية للشعوب الغربية، وعند آخرين وسيلة ابتزاز عاطفية لمشاعر العامة التي لا زالت تحوي مخزونا عاطفيا ونفسيا ذا محتوى ديني، والأهم من ذلك كله أن الدين في العالم الغربي أصبح بالغ السيولة والتطويع لشتى المذاهب والأفكار، فحمل بأساطير سياسية صهيونية، واتسع ليشمل ويقبل بجميع الغرائز المنحرفة كمباركة زواج الشواذ مثلا.

الفلسفة الغربية الحديثة بشتى مدارسها قطعت صلتها بخالق هذا الكون وتمركزت حول الإنسان الغربي الذي استبدل صراعه مع الآلهة

(*) كاتبة مصرية.

في الأساطير القديمة بتحقيق النصر له وتوج نفسه إلها وسيدا ومركزا للكون ومن ثم جعل من تصوراته للحياة وللكون مرجعيته العليا بل سعى لفرض هذه المرجعية وجعلها مرجعية كونية.

وما اتفاقية إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة إلا حلقة من حلقات هذه المرجعية التي يراد فرضها على البشرية جمعاء.

خطورة الوثيقة

تكمن خطورة هذه الوثيقة في أمرين، أحدهما يتعلق بطبيعة المجال الذي تخترقه، والثاني بآلية عملها، فالفكرة المحورية التي تدور حولها الوثيقة هي المساواة المتماثلة بين الرجال والنساء، والتي يعني أي انحراف عنها تمييزا ضد المرأة حيث تنص في مادتها الأولى على ذلك صراحة (لأغراض هذه الاتفاقية يعني مصطلح «التمييز ضد المرأة» أي تفرقة أو استبعاد أو تقييد يتم على أساس الجنس ويكون من آثاره أو أغراضه توهين أو إحباط الاعتراف للمرأة بحقوق الإنسان والحريات الأساسية في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية أو في أي ميدان آخر، أو توهين أو إحباط تمتعها بهذه الحقوق أو ممارستها لها، بصرف النظر عن حالتها الزوجية وعلى أساس المساواة بينها وبين الرجل).

فالتفرقة بينها وبين الرجل تتساوى مع الاستبعاد والتمييز السلبي، هذه التفرقة أو التمييز يشملان كافة المجالات، فمثلاً أن ترث الابنة نصف نصيب أخيها بحسب الشريعة الإسلامية، هذا يعد تمييزا وتفرقة في المجال الاقتصادي، ولكن تعجز بعض النسويات العربيات عن التصريح بذلك علناً خوفاً من إثارة الجمهور.

إلا أن أسوأ ما تنشده الوثيقة في هذا الصدد هو طلب التماثل الحرفي في الدور الاجتماعي داخل نطاق الأسرة، فبدلا من قيم العدالة والتكامل المنبثقة من الدور الطبيعي والفطري والبديهي للزوجين تنشد هذه الاتفاقية تماثل وتطابق هذه الأدوار، وهذا ما توضحه ديباجة الاتفاقية أشد الوضوح بقولها: (وإذ تدرك أن دور المرأة في الإنجاب لا يجوز أن يكون أساسا للتمييز بل إن تنشئة الأطفال تتطلب بدلا من ذلك تقاسم المسؤولية بين الرجل والمرأة والمجتمع ككل.

وإذ تدرك أن تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة يتطلب إحداث تغيير في الدور التقليدي للرجل وكذلك في دور المرأة في المجتمع والأسرة).

المساواة الظالمة

دور المرأة في الإنجاب الدليل الساطع على الفروق بين المرأة والرجل، وهو أمر لا يمكنهم حتى اللحظة تجاوزه لأن التدليل عليه يشبه التدليل على غياب الشمس في الظهيرة! ولكن السوفسطائيين الجدد يرون أن هذا الفارق البيولوجي لا ينبغي أن يترتب عليه أي تفرقة في الدور الاجتماعي، إنهم يظلمون المرأة أشد الظلم بينما يدّعون إنصافها، فهل من العدالة أن تطالَب المرأة بالعمل على قدم المساواة أثناء فترة حملها وتعلم النساء قبل غيرهن ما هي تجربة الحمل؟ سواء في شهوره الأولى أو في شهوره الأخيرة، تلك التجربة التي عبّر عنها القرآن الكريم بدقة لا تشعر بها غير النساء إنه ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤].

وهل من العدالة أن تترك الأم رضيعها وتتقاسم مسئولية العمل على قدم المساواة مع الرجل؟ وهل من العدالة أن يتم اقتسام مسئولية الرضيع بين الأب والأم على قدم المساواة؟ بل والمجتمع كله مسئول عن هذا الرضيع، إننا نلحظ أن مستنقعات الفكر التربوي كله قد تجمعت في هذا النص منذ أفكار أفلاطون القديمة وحتى الأفكار الشيوعية البائدة، هذه المستنقعات التربوية ممتزجة مع واحدة من أهم إفرازات الحضارة الغربية الحديثة وهي الأنانية المتضخمة حتى أننا نلمح من خلال هذه الوثيقة أن التعامل مع الأطفال يتم كعبء ثقيل ومسئولية سخيفة كانت وراء تدهور منزلة المرأة عبر التاريخ ومن ثم يجب عليها أن تتخلص من هذه التركة الثقيلة وتتقاسم مسئوليتهامع الرجل.

عدالة التكامل

هل يعني ذلك أننا نرى أن المرأة هي المسئولة الوحيدة عن تنشئة الأطفال؟ بالطبع لا، وإنما هي المنظومة التكاملية التي ارتضتها البشرية منذ فجر التاريخ في خطها العام، وبغضّ النظر عن أي ممارسات استثنائية في الواقع العملي في الحياة وفي ديننا (يلاحظ قارئ الوثيقة التجاهل التام للفظ الدين والديني أو استخدامه دائما ممزوجا بالعادات والأعراف الباطلة وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن هذه الوثيقة أحد التجليات المادية للفلسفة الغربية) أقول في ديننا نرى الرسول صلى عليه وسلم وهو يعلّم ويهذب سلوك الآباء بتقبيل الأطفال واللعب معهم والخروج بهم للتنزه بل والذهاب بهم للمسجد لا يفرق في ذلك بين ابن وبنت، ولمن أراد المزيد من التوضيح فليراجع مواقفه ﷺ من الحسن والحسين وأمامة وأبي عمير تماما كما كان في خدمة أهله ولكن هذا كله لا يعني مطلقا المساواة المتماثلة بمعناها الحسابي الذي يروج له في الوثيقة.

وإنما هو دور الأب المكمل لدور الأم في التنشئة، خاصة في المراحل العمرية الصغيرة، ذلك الدور الذي تصمه الوثيقة بـ «الدور التقليدي».

الاقتصاد .. كلمة السر

وإذا كانت الوثيقة وضعت المساواة في الدور الاجتماعي هدفا فإنها وضعت المساواة الاقتصادية وسيلة لهذا الهدف وهي تروج بلا أدنى خجل للنظام الاقتصادي الرأسمالي المتوحش الذي تصفه بالنظام العادل حيث جاء في ديباجة الاتفاقية:(وإذ تؤمن بأن إقامة النظام الاقتصادي الدولي الجديد، القائم على الإنصاف والعدل، سيسهم إسهاما بارزا في النهوض بالمساواة بين الرجل والمرأة). ولنا أن نتساءل في دهشة بالغة عن أي عدالة يتحدثون؟ وهل العدالة التي يطالبون بها للنساء المستضعفات تشبه العدالة التي تحققت لبلداننا الفقيرة في ظل هذا النظام العالمي الذي يتحدثون عنه؟ وعندما تجرد المرأة من قيمة المهر الذي يقدم لها كهدية وتعبير عن الحب وحتى تطيب نفسا في حياتها الزوجية الجديدة وعندما تجرد من حقها في النفقة الواجبة لها مقابل تفرغها للقيام بمهامها الزوجية ورعايتها للنشء هل ذلك كله من قبيل هذه العدالة السوداء التي يبشرون بها؟

في ديننا ترث المرأة ولا تطالب بالنفقة وتحصل على المهر ويتوجب لها نفقة، وفوق هذا كله تستطيع أن تعمل عملا اقتصاديا يدر عليها دخلا بشرط ألا يؤثر ذلك على وظيفتها الأساسية، وهي لا تطالب بإنفاق شيء من ذلك كله وجوبا وإنما الأمر يرجع لتقديرها الخاص ﴿فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾ [النساء: ٤].

فمن الظالم؟ ومن المظلوم؟ وأين هي العدالة الحقيقية من المساواة العرجاء؟ وإذا كان هناك سوء تطبيق للنظام وهو أمر وارد في أي تجمع بشري فالواجب هو البحث عن آليات تصحيح الخطأ وعلى المجتمع ككل تدشين مؤسسات تعنى بحفظ حقوق النساء حتى لا يهينهن لئيم.

التدخل السافر

المساواة الحرفية هي الهدف من الوثيقة بحيث يعتبر أي فرق لونا من ألوان التمييز المرفوض ضد المرأة ولكن وثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة ليست مجرد إعلان مبادئ وأفكار وإنما هي وثيقة أراد واضعوها لها أن توضع موضع التنفيذ فتضمّن في دساتير الدول وتتحول إلى قوانين وتلغى أي قوانين تتعارض معها وهذه هي آلية عملها الذي يضمن لمرجعية وثيقة إلغاء كافة أشكال التمييز ضد المرأة المعروفة اختصارا بالسيداو أن تتحقق واقعيا وهذا هو مضمون المادة الثانية من الاتفاقية والذي تحفظت عليه معظم الدول العربية الموقعة على الوثيقة: (تشجب الدول الأطراف جميع أشكال التمييز ضد المرأة، وتتفق على أن تنتهج، بكل الوسائل المناسبة ودون إبطاء، سياسة تستهدف القضاء على التمييز ضد المرأة، وتحقيقاً لذلك تتعهد بالقيام بما يلي:

(أ) إدماج مبدأ المساواة بين الرجل والمرأة في دساتيرها الوطنية أو تشريعاتها المناسبة الأخرى، إذا لم يكن هذا المبدأ قد أدمج فيها حتى الآن، وكفالة التحقيق العملي لهذا المبدأ من خلال التشريع وغيره من الوسائل المناسبة.

(ب) اتخاذ المناسب من التدابير، تشريعية وغير تشريعية، بما في ذلك ما يناسب من جزاءات، لحظر كل تمييز ضد المرأة.

(ج) فرض حماية قانونية لحقوق المرأة على قدم المساواة مع الرجل، وضمان الحماية الفعالة للمرأة، عن طريق المحاكم ذات الاختصاص والمؤسسات العامة الأخرى في البلد، من أي عمل تمييزي.

(د) الامتناع عن مباشرة أي عمل تمييزي أو ممارسة تمييزية ضد المرأة، وكفالة تصرف السلطات والمؤسسات العامة بما يتفق وهذا الالتزام.

(هـ) اتخاذ جميع التدابير المناسبة للقضاء على التمييز ضد المرأة من جانب أي شخص أو منظمة أو مؤسسة.

(و) اتخاذ جميع التدابير المناسبة، بما في ذلك التشريعي منها، لتغيير أو إبطال القائم من القوانين والأنظمة والأعراف والممارسات التي تشكل تمييزاً ضد المرأة.

(ز) إلغاء جميع الأحكام الجزائية الوطنية التي تشكل تمييزاً ضد المرأة).

هذه هي المادة الثانية التي أثارت جدلا كبيرا والتي تسعى الأمم المتحدة لإلغاء أي تحفظ عليها وإلزام دول العالم بها، نناقشها بالتفصيل ورصد ما تم تطبيقه في دولنا العربية في المقال القادم بإذن الله.

الإيرانيون الشيعة وجريمة إبادة السنة

عامر عبد المنعم(*) - خاص بالراصد

كنا نظن أن جريمة الإبادة مرتبطة بالعرق الأبيض فقط عندما أباد الغزاة الأوربيون الهنودَ الحمر في الأمريكيتين، ولكن كشفت أحداث الأعوام الأخيرة أن الإيرانيين الفرس وأتباعهم من الشيعة العرب يمارسون الإبادة ضد السنة بأبشع صورها؛ يدمرون المدن ويقتلون الأبرياء بالتعاون مع الدول الاستعمارية التي توفر لهم الغطاء الدولي ليُخرجوا حقدهم الدفين ضد شعوبنا التي لم تبدأهم بقتال، بل كانت تحسن الظن بهم .

ما يحدث في سوريا والعراق واليمن - بشكل نسبي- إبادة ممنهجة يمارسها الشيعة ضد السنة، لإقامة حكم شيعي تابع لإيران، وهذه النزعة العدوانية والرغبة في الإبادة نشاهدها يوميا على الشاشات موثقة بالصوت والصورة، وهي تحتاج إلى وقفة لفضح هذا السلوك الذي أصبح خطرا ملحا يزيد عن الخطر الذي تواجهه الأمة من دول الهيمنة الاستعمارية الغربية.

تتشابه هذه النزعة الإيرانية الشيعية في إبادة السنة مع الصهيونية العالمية إن لم تكن تفوقت عليها، فمَن كانوا يهتفون بالأمس بالموت لأمريكا وإسرائيل أصبحوا اليوم أكثر فتكا بالمسلمين من الصليبيين والصهاينة، وأصبحت ترسانة الصواريخ التي فرح البعض بها يوما متوهمين أنها موجهة ضد «إسرائيل» تقذف اليوم على مدن السنة لتقتل وتدمر بلا رحمة، بل تحول «محور الممانعة» الذي ملأ الدنيا ضجيجا إلى محور معادٍ لقتل المسلمين والتآمر ضدهم متحالفا مع كل الشياطين.

(*) كاتب مصري.

السيرة الإجرامية للإيرانيين الفرس داخليا وخارجيا تظهر التناقض في مواقف إيران تجاه التطورات الداخلية في بعض الدول الإسلامية عندما يتعلق الأمر بجرائم الشيعة الموالين للإثنى عشرية، فعندما قام الجيش النيجيري باعتقال الزعيم الشيعي الزكزاكي بعد الإعلان عن حمل الشيعة السلاح ومحاولة اغتيال رئيس أركان الجيش تباكى الفرس والشيعة على إهدار حقوق الإنسان ورفعوا رايات الدفاع عن حقوق الشيعة، وكأنهم دولة عابرة للحدود ومن حقها التدخل في شئون الدول وفرض سلطتها على العالم.

ونفس التناقض تكرر مع السلوك الإيراني بعد إعدام القيادي الشيعي نمر النمر في السعودية الذي يقود تمردا لفرض سلطة الولي الفقيه على أرض الحرمين فقامت قيامتهم، وأصدروا الأوامر للشيعة في دول العالم للخروج في مظاهرات ضد السعودية وأحرقوا السفارة السعودية في طهران وصوروا الأمر وكأن الملك سلمان يعلن الحرب ضد الشيعة، رغم أن شيعة القطيف أقلية مدللة، رغم مظاهر تمردهم على الدولة واستقوائهم بالنفوذ الإيراني.

هل الإيرانيون يعرفون حقوق الإنسان؟ وهل هم حقا يدافعون عن قيم ومبادئ؟

للأسف التجربة المعاصرة كشفت عن عقلية عدوانية تجاه كل ما هو سني، تلبستهم نزعة شيطانية لا تعرف غير شيطنة السنة وإبادتهم، واستباحة أرضهم وسفك دمائهم بما فاق التجارب السابقة فظاعة، وبما يجعلنا في حالة صدمة من هذه الروح الدموية التي تمارِس كل الجرائم باسم هذا المذهب الذي ما دخل بلدا إلا وخربها.

هذا السلوك لإبادة الآخر، والآخر هنا هو السنة فقط، فهم يتعاونون مع كل الأعداء بما فيهم الصهاينة ويَصلون معهم إلى اتفاقات وتسويات، لكن مع السنة لا يعرفون غير السيف والقتل والتهجير، وهذا ما نكشف جزءا منه في هذا المقال.

يظل العراق هو الساحة الرئيسية لمشروع الإبادة الإيراني، فالشيعة الفرس وأتباعهم من الشيعة العراقيين يمارسون الإبادة بكل الوسائل منذ ٢٠٠٣ وحتى الآن ضد الشعب العراقي السني، حيث تحالف الإيرانيون مع الأمريكيين في الغزو ودخلت الفرق الشيعية فوق الدبابات الأمريكية، واستباحوا مدن السنة التي رفضت الاحتلال وأعلنت المقاومة.

كان الأمريكيون يظنون أن العراق مجرد نزهة وأن الشعب العراقي سيتقبل الاحتلال ولكن مع بروز المقاومة منذ اليوم الأول اعتمد الأمريكيون على الشيعة وأعطوهم السلطة وفتحوا لهم الطريق للسيطرة على العراق بعد إسقاط صدام حسين وحلّ الجيش العراقي، ولعب الزعيم الشيعي السيستاني دور المحلل للاحتلال، وأضفى المشروعية للغزو الأمريكي وأباح قتل السنة وتدمير مدنهم لإقامة دولة الشيعة.

في البداية كان جلّ التدمير والقتل الذي يتعرض له سنة العراق بأيدي قوات الاحتلال؛ فالجيش الأمريكي استخدم كل ترسانته العسكرية ضد السنة لقمع مقاومتهم، ولكن مع اتساع رقعة المقاومة واستنزاف الاحتلال بدأ الأمريكيون يشكلون جيشا شيعيا ووحدات أمنية للشرطة المحلية بإدارة شيعية لتخفيف الضغط على القوات الأمريكية.

وتعاون الأمريكيون مع الإيرانيين في تأسيس التشكيلات العسكرية على أساس طائفي، واهتموا بالتدريب المتواصل لهذه الميلشيات الشيعية، سواء داخل العراق أو في دول الجوار، وأداروا برامج التطويع للقيادات الأمنية الجديدة في أمريكا وأوربا، وضخوا المليارات لتضخيم الجسم العسكري والأمني للشيعة، حتى أصبح العراق

أكبر ثكنة عسكرية في العالم، ليعيش تحت سطوة احتلالين: الأمريكي الغربي، والشيعي الإيراني، وسالت الدماء في أراضي السنة التي تحولت إلى سجن كبير يتعرض سكانه للقتل اليومي، وامتلأ العراق شمالا وجنوبا بالمعتقلات والسجون التي تطوي بين جدرانها عشرات الآلاف ممن نجوا من الموت قتلا ولم يستطيعوا الخروج من البلد.

بدأت نزعة إبادة السنة تظهر بشكل واضح منذ انفراد الشيعة بالحكم وسقوطه تحت الإدارة الإيرانية المباشرة منذ ٢٠١١ بعد الانسحاب الأمريكي والهروب من المحرقة، بعد الخسائر الجسيمة التي تعرضت لها القوات الأمريكية في الأنبار أو ما يسمى بالمثلث السني، وترك الأمريكيون أسلحتهم وآلياتهم العسكرية للشيعة ليفرضوا سلطتهم على كل العراق بالحديد والنار.

نشر الشيعة قواتهم الطائفية في كل مكان، على الطرق وداخل المدن، ونصبوا الكمائن بين كل قرية وأخرى في مناطق السنة، وشيدوا المزيد من السجون فوق الأرض وتحتها، ومارسوا التطهير الطائفي في المناطق المتاخمة للوجود الشيعي في الوسط والشرق، ووضعوا قيادات السنة الذين قبلوا بالمشاركة في العملية السياسية رهائن تحت التهديد وقيد الإقامة الجبرية، وقتلوا من طالب بحقوق السنة وسجنوا بعضهم، وطردوا خارج العراق زعماءهم (طارق الهاشمي نموذجا).

وظل هذا الوضع المأساوي المحمي أمريكيًا حتى قامت ثورات الربيع العربي فخرج العراقيون في مناطق السنة يحتجون ضد القمع والظلم الطائفي، وأقاموا سرادقات الاعتصام في المدن وعبروا عن رفضهم للاضطهاد الطائفي بشكل سلمي، لكن كان الرد الشيعي دمويا حيث هاجم الجيش الشيعي خيام الاعتصام وقتل المعتصمين، وخرج المجرم نوري المالكي يتهم الضحايا بأنهم دعاة إرهاب، وتواطأ معه الأمريكيون ودول الغرب وأعطوه تأييدا وحماية من الإدانة.

وللإمعان في الغطرسة شن المالكي هجوما على الفلوجة لإخضاعها، فهي رمز السنة ودرة مدائن الأنبار، وهي المدينة التي لم يستطع الأمريكيون السيطرة عليها، فكانت الشرارة التي فجرت غضب سنة العراق، وانفجار الثورة ضد الحكم الطائفي والتي لم تتوقف حتى الآن. ومازال الجيش الطائفي يستخدم كل الأسلحة من مدافع وصواريخ لتدمير المدينة، ولا فرق في ذلك بين المالكي وخلفه العبادي .

مع انكسار الجيش الطائفي استنجد الإيرانيون وشيعة العراق بالأمريكيين يطلبون الدعم العسكري لقمع السنة فاشترط الأمريكيون إقالة المالكي واتفقوا مع إيران، وأقالوه وحمّلوه مسئولية انهيار الجيش الذي أنفقوا عليه المليارات.

ومع إعلان الرئيس الأمريكي للتحالف الدولي لمواجهة «داعش» استغلت إيران الموقف الدولي لمصلحتها، ولتمرير خطتها لإحياء المشروع الفارسي الذي يعمل في ظل القوى الاستعمارية ويقوم بشكل أساسي على إبادة السكان السنة وتهجيرهم، بتدمير مدنهم وقتل أكبر عدد منهم وإجبار من تبقى على قيد الحياة على النزوح وترك بيوتهم أو بالهجرة والبحث عن ملجأ خارج العراق.

تقريبا كل مدن السنة تتعرض للقصف المتواصل بالطائرات الشيعية العراقية والإيرانية وتستدعي طائرات التحالف الدولي في المعارك لمساندة الشيعة، ولتوفير الغطاء الجوي لحماية القوات الطائفية على الأرض، وتتعرض كل المدن السنية للقصف اليومي بزعم محاربة «داعش»، وتم التطهير العرقي لإخلاء مناطق واسعة على تخوم الجنوب الشيعي والمنطقة الشرقية القريبة من إيران، بل وتمددت الميليشيا الشيعية في المناطق الحدودية مع السعودية، وأصبح ملايين العراقيين مهجّرين؛ نازحين ولاجئين.

سوريا

وإذا تركنا العراق وذهبنا إلى سوريا نجد نفس سياسة الإبادة، فالمتطوعون الشيعة يتدفقون من كل مكان ويرسلون أبناءهم للقتال مع نظام بشار الأسد، ويقومون بإبادة السوريين السنة، فالمرتزقة من إيران والعراق وحزب الله من لبنان، والمتطوعون من باكستان وأفغانستان ودول أخرى يشاركون في ذبح السوريين، ويقذفون كل أنواع الصواريخ على المدن السنية لقتل أكبر عدد منهم وتهجيرهم خارج سوريا لتخفيف الكثافة السكانية والخلاص من الشعب السوري نفسه.

في سوريا تتم الإبادة بالبراميل المتفجرة التي أصبحت سلاحا طائفيا يُستخدم بشكل مكثف كما في العراق، ويركز القصف الأعمى في كل المدن على المدنيين وليس لمواجهة مقاتلين، ومع الوقت يتطور هذا النهج الإبادي لرسم حدود ما يسمى «سوريا المفيدة» للطائفة العلوية ولتفريغ مساحات شاسعة من الأراضي بتدمير مدن وإبادة سكانها، يتم هذا في حلب ومحيط دمشق وريف اللاذقية وغيرها، وتعد مدينة الزبداني أبرز مثال على هذه النزعة الإبادية، فهذه المدينة دمّروها تماما وهدموها.

حتى الروس عندما جاءوا إلى سوريا تتمحور استراتيجيتهم على إخلاء مناطق شاسعة من المسلمين السنة لإنشاء الدولة العلوية لحماية قواعدهم العسكرية التي يريدون من خلالها استعادة النفوذ القديم لروسيا كقوة عظمى، والأخطر في الوجود الروسي أنهم يستخدمون أسلحة أكثر فتكا وأفظع تدميرا، وظهرت نتائج هذا العدوان الروسي في كمّ الدمار الذي تسبب في أكبر عملية نزوح لشعب عربي يشبه مأساة فلسطين، فلأول مرة يهرب مليون سوري إلى أوربا عبر البحر المتوسط بحثا عن ملاذ آمن.

وكما تحالف الشيعة مع أمريكا تحالفوا مع روسيا، ويقدمون للاحتلال الروسي الميليشيات الشيعية ليستخدمها كقوات برية في استراتيجيته العسكرية لتخريب المدن السورية لفرض واقع جديد لصالح نظام بشار الأسد الذي سلّم كل شيء للروس ولم يعد يملك من أمره شيئا، فلا مبرر أخلاقيا ولا تفسير منطقيا للتحالف الشيعي مع كل قوى الاستعمار والاحتلال ضد المسلمين غير الحقد والكراهية والرغبة في هدم العالم الإسلامي واستعادة إمبراطورية الفرس الغابرة على جماجم المسلمين.

اليمن

وفي اليمن لا يختلف السلوك الشيعي عن مثيله في العراق وسوريا، فالحوثيون الشيعة التابعون لإيران ظهرت نزعتهم الإبادية والتطهير العرقي منذ اليوم الأول، عندما هاجموا دمّاج بالمدافع ولم يتوقفوا حتى أخلوها من سكانها السنة، ثم انطلقوا في مسيرتهم العدوانية حتى استولوا على صنعاء واستباحوا دماء اليمنيين.

استخدم الحوثيون أسلحة الجيش اليمني التي وضعوا أيديهم عليها في تدمير المدن. فعلوا ذلك في معظم المحافظات التي سيطروا عليها، ففجروا البيوت والمدارس، وهدموا دور القرآن والمساجد بزعم أنها تخرّج الإرهابيين، وظهرت هذه الروح الشيطانية والرغبة في الإبادة في قصف عدن ومدن الجنوب بالدبابات والمدافع ولم يقاتلوا بشرف ضد المقاومة التي ترفض احتلالهم.

ما يحدث في تعز يفضح هذه الرغبة في الإبادة، فهم يقصفون البيوت والمستشفيات والمدارس ويستسهلون التدمير العشوائي، وكلما خسروا معركة ضد المقاومة الشعبية قصفوا أحياء جديدة بلا رحمة، بل ويقصفون مناطق النازحين الذين فروا من وسط المدن.

وجاء التدخل السعودي العسكري في اليمن بعاصفة الحزم ليعطل تمدد مشروع الإبادة الإيراني الذي كاد أن يسيطر على اليمن ويحاصر نزعة الإبادة الشيعية التي تعتنقها أقلية حوثية وتريد أن

تحكم الأغلبية السنية بالقتل والتدمير والتخريب .

الأحواز

قصة الأحواز الدولة العربية التي ابتلعتها إيران وتخضع للاحتلال الفارسي من الأمثلة التي تكشف عن مأساة تشبه قصة فلسطين، فهي قصة معاناة شعب عربي مسلم يذوق الويلات تحت الاحتلال الشيعي الفارسي. لقد ضمت بريطانيا عربستان لإيران بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت دولة لشعب عربي مسلم على الضفة الشرقية للخليج العربي فتعرض سكانها للقتل والإبادة، ورغم تشيعهم ظلوا مضطهدين، فالتمييز ضد الأحوازيين هو لأنهم عرب، وهذا السلوك الفارسي جعل الكثير من الأحوازيين يعودون في السنوات الأخيرة إلى عقيدتهم السنية قبل الصفويين ويتركوا التشيع.

لقد تعرض عرب الأحواز لتطهير عرقي وتهجير وإحلال الفرس بدلا منهم في عمليات التغيير الديمغرافي لتفريس أراضي العرب، وتتواصل الإعدامات اليومية ضد الشعب الأحوازي منذ احتلالها وحتى الآن، وتضع التقارير الدولية إيران في المرتبة الثانية في قائمة الدول الأكثر إعداما لمواطنيها، وأصبح من المعتاد رؤية المشانق العلنية للأحوازيين التي تعبر بوضوح عن حالة حقوق الإنسان المزرية في إيران، وتصدم صور الضحايا المعلقين في ميادين المدن الأحوازية الضمير الإنساني، وما حدث ويحدث للأحواز تكرر مع السنة في المناطق الأخرى التي احتلها الفرس بدعم الاستعمار الإنجليزي مثل بلوشستان والآذريين والأكراد حيث التطهير العرقي والإبادة سياسة الفرس التي لا تتغير.

لم يعد هناك شك في أن المشروع الإيراني الفارسي لا يقل إجراما عن أي مشروع استعماري آخر، بل يتفوق على باقي المشروعات المعادية للمسلمين بأنه أكثر عدوانية وأفظع إجراما، حيث يعتمد الإبادة كسلوك تجاه المسلمين، ولا يتورع عن تدمير المدن وقتل مَن فيها لضم البلدان إلى إمبراطورية فارسية ماتت منذ سنين، مستغلا عداء الدول الغربية لحالة التمرد في العالم الإسلامي ضد الهيمنة الصليبية.

وهذا المشروع العدواني المتحالف مع شياطين الأرض ضد المسلمين أثبت أنه مشروع معادٍ للأمة وليس جزءا منها، كما كانت تصور الدعاية الإيرانية والتابعون لإيران في العالم العربي، فهذا المشروع جزء من المنظومة المعتدية على الشعوب المسلمة، وهو في حالة توافق تام مع الصليبيين وفي حلف مع كل معتدٍ، وجزء من استراتيجية الأعداء بكل ألوانهم وأطيافه.

السلاح الإيراني في إفريقيا... الواقع وسيناريوهات التصدي

محمد خليفة صديق(*) - خاص بالراصد

مقدمة:

توجه إيران نحو إفريقيا كان إحدى محاولاتها لفك الحصار العالمي عليها، وكانت إفريقيا الفضاء الأنسب لذلك، باعتبارها ساحة الصراع الثانية عالميًّا والمورد الطبيعي الأكبر للعالم، والعلاقات الإيرانية الإفريقية تعد من العلاقات التي شهدت توسعاً كبيراً خاصة خلال العقدين الماضيين.

ويلاحِظ المتأمل وجود رؤية واضحة حول أولوية أفريقيا في أجندة السياسة الخارجية الإيرانية؛ فعلى سبيل المثال تمتلك إيران سفارات في أكثر من ٣٠ دولة إفريقية، وفي منتصف ٢٠١٠ عقدت القمة الأفريقية الإيرانية في طهران بمشاركة ممثلين عن ٤٠ دولة أفريقية بينهم رؤساء ووزراء ودبلوماسيون ورجال أعمال، وتتمتع إيران بصفة العضو المراقب في الاتحاد الأفريقي، وتحرص القيادة الإيرانية على مستوى الرئاسة وكبار المسؤولين على زيارة العواصم الإفريقية بشكل دوري، ولعل من أكبر

(*) كاتب سوداني.

تلك الزيارات زيارة الرئيس الإيراني السابق أحمدي نجاد إلى كل من غانا وبنين والنيجر في ٢٠١٣م، وبما أن نجاد هو أول رئيس إيراني يتجه لأفريقيا بهذا الشكل قبل أن يترك منصبه، فإن من أهم ما ساعده على توثيق العلاقات وتطويرها واستقباله بحفاوة في كل دولة زارها هو رئاسة إيران لحركة عدم الانحياز، الحركة التي تأسست فعليًّا في عام ١٩٥٥، وتضم الآن ١١٨ دولة عضوة و١٨ دولة كمراقب و١٠ منظمات، وجميع دول أفريقيا عضوة فيها باستثناء جنوب السودان المنفصلة حديثاً والتي لم تنضم للحركة حتى الآن.

ويبدو تطور العلاقات الإيرانية الأفريقية جليًا في ما مضي من سنوات، وهي مرشحة للزيادة، وعلى مستوى التمثيل الدبلوماسي يتوقع أن تعيد المغرب علاقتها الدبلوماسية قريبًا مع طهران في تطور جديد، وتعيد إيران فتح سفارتها في الرباط بعد القطيعة الشهيرة بينهما في ٢٠٠٩م حينما اتهم المغربُ إيران بأنها كانت تستغل سفارتها في المغرب من أجل القيام بأنشطة تشييع في المغرب ومالي، والسنغال، وكانت تخطط لتوسيع رقعة النفوذ الشيعي في غرب إفريقيا جنوب الصحراء، وجعل المغرب منطلقا لهذا الهدف، مما دعا المغرب لشن حملة ضد الشيعة للحفاظ على الأمن الروحي للمغاربة.

والنظرة الفاحصة تؤكد أن هناك أبعادا ودلالات أخرى كثيرة وراء هذا التدافع الإيراني الكبير نحو أفريقيا، ورغم أن قراءة الملف الإيراني الأفريقي تعكس تباينا واضحا في الرؤى والتوجهات، فهناك من يرى أن حدود العلاقة تتوقف عند غاية التبشير ونشر المذهب الشيعي، وهذا وإن كان فيه قدر كبير من الصحة والأولوية إلا أن هناك غايات إيرانية أخرى مكملة يجب أن توضع في الحسبان منها الغاية الاقتصادية والأمنية والعسكرية لإيران في إفريقيا، وسيركز هذا المقال على النشاط العسكري الإيراني سيما نشاط تهريب وتصنيع السلاح في إفريقيا، والتورط الإيراني في صناعة الإرهاب في بلدان إفريقيا.

ماذا تريد إيران من إفريقيا:

بمتابعة النشاط المحموم لإيران في إفريقيا، يلمح الناظر المتفحص أن إيران تريد بنشاطها في أفريقيا أن تبلغ عدة أمور، يمكن تلخيصها في التالي:

أولاً: نشر المذهب الشيعي وتكوين مليشيات عسكرية تابعة لها

استراتيجية إيران في أفريقيا ليست سياسية فقط، بل سعت لتوظيف تأثيرها السياسي من أجل تطويره ليأخذ طابعا دينيا مذهبيا، وهو ما يدخل في إطار نشر المذهب الشيعي بين الجماعات المسلمة في أفريقيا، ولعل أبرز مثال في هذا السياق هو تجربة الحركة الإسلامية في نيجيريا أو «إخوان نيجيريا» بزعامة الشيخ إبراهيم الزكزاكي الذي قام بزيارة مدينة قم الإيرانية منذ بداية جمهورية الخميني وتلقى تمويلا إيرانيا ليحوّل جماعته بعد ذلك إلى جماعة ثورية تحارب الحكومة العلمانية وتسعى إلى تطبيق الشريعة الإسلامية وفقا للنموذج الإيراني.

وتنتشر جماعة الزكزاكي في ولايات الشمال ولا سيما في كانو وكادونا وخاصة مدينة زاريا التي فيها مقر زكزاكي الذي تم تدميره من قبل الجيش النيجيري بسبب عدوان أتباع زكزاكي على قائد الجيش ومحاولة اغتياله، وتعتمد هذه الجماعة في تجنيد أعضائها على خريجي بعض جامعات الشمال النيجيري المسلم مثل جامعة أحمدو بيلو وعثمان دان فوديو، وهذه الاستراتيجية الإيرانية ترمي إلى تكوين تنظيم/مليشيا محلية موالية لها ذات بعد ديني وسياسي وعسكري.

واستراتيجية نشر المذهب الشيعي لم تطبق فقط في نيجيريا وإنما شملت دولا أخرى مثل السنغال التي شهدت بناء حوزة علمية بجوار جامعة العاصمة داكار، وهي تمنح الطالب شهادة تعادل الثانوية، كما أن هناك المركز الثقافي الإيراني في مالي. ومن الملاحظ أن الجاليات الشيعية اللبنانية تسهم بدور كبير في نشر التشيع بين الأفارقة، كما هو

الحال بالنسبة لساحل العاج وغيرها، وسيتم محاولة تكوين تنظيم/مليشيا منها إذا نضجت الظروف الموضوعية لذلك.

ثانياً: اليورانيوم

مشكلة إيران الكبرى التي تتعارض مع طموحها لتكون دولة عظمى أنها دولة فقيرة باليورانيوم، ومخزونها -القديم- على وشك النفاد في الأعوام القادمة (مخزونها حصلت عليه من كيب تاون في ١٩٧٠)، والولايات المتحدة تضيق الخناق على مصدّري اليورانيوم الأساسيين لطهران (أوزباكستان/ كازخستان/ البرازيل)، ومع برنامج طموح يستهدف بناء ستة عشر مفاعلًا نوويًّا في السنوات التالية سوى السلاح النووي، لذلك تمثل أفريقيا لها كنزًا حقيقيًّا كقارة ترقد على جزء ضخم من الاحتياطي العالمي، حيث احتياطاته عالية جدًا في جنوب أفريقيا والنيجر ومالاوي وناميبيا وزيمبابوي وأوغندا، وهي الدول التي تتجه إليها إيران وتضعها على أولوية سياساتها الخارجية.

في ٢٠٠٦، كشفت إحدى وثائق ويكيليكس المسربة أن الولايات المتحدة تلقت تقريرًا استخباراتيًّا من سفارتها في دار السلام (عاصمة تنزانيا السابقة) أن يورانيوم الكونغو ربما يمر من تنزانيا عن طريق شركتين سويسريتين للشحن ثم يصل إلى إيران، يفسر هذا بعدها الاهتمام الأمريكي الشديد بتوقيع اتفاقية مع الكونغو الديموقراطية تهدف لمنع الاتجار في المواد النووية بهدف قطع الطريق على طهران.

في ٢٠٠٧، تم اكتشاف اليورانيوم في غينيا على يد الشركة الأسترالية (مورتشيسن يونايتد) وبطبقات سمكها من سبعة أمتار إلى أربعة عشر مترًا وهو سمكٌ ضخم، مما أدى إلى تحولها من دولة هامشية لمحط أنظار الدول النووية، حينها بدأت إيران مباشرة في برنامج للتعاون الاقتصادي مع غينيا، وفي نفس العام زار أحمدي نجاد هراري (عاصمة زيمبابوي) ليعقد اتفاقًا مع روبرت موجابي بموجبه توفر زيمبابوي تموينا لطهران من اليورانيوم الخام تقدر كميته بـ ٤٥٥ ألف طن على مدار خمس سنوات، في صفقة كانت في حينها تحديًا سافرًا وضربة لجهود الأمم المتحدة في عرقلة البرنامج النووي الإيراني.

ويعطي تطور العلاقات الإيرانية مع غينيا في غرب أفريقيا مؤشرا واضحا حول أهمية متغير اليورانيوم في السياسة الخارجية الإيرانية. فمنذ اكتشاف اليورانيوم في غينيا عام ٢٠٠٧ توطدت علاقات طهران بها، حتى إن التبادل التجاري بين البلدين في العام ٢٠١٠ قد زاد بنسبة ١٤٠٪.

ثالثاً: اقتصاد موازٍ وقوة ناعمة

تشير بعض الإحصائيات إلى أن العلاقات التجارية المتبادلة بين إيران وإفريقيا وصلت لأكثر من مليار دولار، الرقم الذي قد لا يبدو ضخمًا هو بشكل ما باب مهم من أبواب الدخول الإيراني لتحقيق أهداف أخرى قد لا تتحقق إلا عن طريق الاستثمار والشراكة التجارية، حيث اتجهت إيران لتعاون مفتوح يضمن ترابطًا اقتصاديًّا في القارة بأكثر مما تفعل الولايات المتحدة وغيرها من الدول الكبرى.

أما جنوب أفريقيا فيكفي ذكر التعاون الوثيق بين إيران وبين عملاق الاتصالات هناك (MTN) حيث تسيطر المجموعة الجنوب أفريقية الآن على ٤٥٪ من سوق الاتصالات في الجمهورية الإسلامية بعد أن أعطتها طهران ترخيص العمل، كما أن إيران تُولي اهتمامًا خاصًا للصومال، حيث من جهة تدعم بشكل غير مباشر حركة الشباب (فرع تنظيم القاعدة هناك) بالسلاح وبغيره، وهو ما يبدو غريبًا لكنه حاجز جيد لمواجهة النفوذ الأمريكي هناك، فضلًا عن أنها لم تنس الحكومة فتعهدت ببناء مرفق طبي إيراني يماثل تطور العيادة الإيرانية الشاملة في أكرا (غانا)، وهو أيضًا يعتبر تحديًا للنفوذ التركي المتنامي في مقديشو.

رابعاً: قوة بحرية وتسليحية

إحدى أقوى مميزات إيران هي حدودها البحرية، فمن الشمال يحدّها بحر قزوين أهم

منطقة نفطية مستقبلية على سطح الأرض لما يحتويه تحت قاعه من احتياطات نفطية وغاز طبيعي هائلة، ومن الجنوب الغربي نجد الخليج العربي، وهو يضمن وصولا سريعا ومضمونا لسواحل دول الخليج العربي بالكامل، من الجنوب الشرقي الخليج العماني ثم بحر العرب مما يعطي وصولًا لـ (عمان/ اليمن/ الصومال) وخليج عدن لنصل إلى البحر الأحمر، أو المحيط الهندي بطول ساحل أفريقيا الشرقي أو جزء من الجنوب الغربي الآسيوي، وتتمدد البحرية الإيرانية في أفريقيا بانتظام، منذ أن بدأت تشارك في بعثات مكافحة القراصنة في خليج عدن وترسو على سواحل الصومال، فضلًا عن العلاقات الحميمة مع إريتريا التي تدعم تنظيم القاعدة في الصومال (حركة الشباب).

وفي ٢٠١١، عبرت سفينتان حربيتان إيرانيتان قناة السويس وهو الحدث الذي أثار الداخل المصري بعد الثورة، حيث يعتقد أن السفينتين كانتا تحملان أسلحة لصالح النظام السوري ضمن دعم طهران له، وبعدها بأيام قليلة وصلت بوارج حربية إيرانية إلى ميناء بورسودان، وكان ذلك قبل تدهور علاقات السودان وإيران وإغلاق المراكز الإيرانية بالسودان.

التسليح في الاستراتيجية الإيرانية:

الإستراتيجية الإيرانية تتورط في تصدير الأسلحة لمناطق الصراعات الأفريقية بغية تحقيق مصالح سياسية وإستراتيجية. ولا تقتصر الحركة الإيرانية على ما هو سياسي واقتصادي وعسكري فقط في أفريقيا، ولكنها تقوم على رافعة مذهبية وثقافية كي تستطيع من خلالها تثبيت الأقدام بعد كسب نفوس وقلوب الأفارقة، وهذا هو بيت القصيد في الاختراق الإيراني الجديد لأفريقيا الذي يرتدي عباءة المصالح المتبادلة والوقوف في مواجهة قوى الإمبريالية والاستكبار العالمي.

فقد وجدت إيران في المشاكل والاضطرابات التي تعيشها دول القارة منفذا للتغلغل متبعة في ذلك نفس سلوكيات القوى الأخرى التي يفترض أن أفريقيا تعاني من سياساتها وستتحالف إيران مع الأفارقة ضدها. إذ لم تكتفِ إيران بالعلاقات الرسمية مع الحكومات الإفريقية رغم كل المزايا الممنوحة لها من قبلها، وإنما لجأت إلى نفس الأساليب والطرق التي تستعملها في مناطق أخرى، وما اعتادت عليه في سياستها الخارجية من خلال فتح قنوات غير رسمية مع حركات المعارضة لضمان ولائها أو توظيفها في مراحل مختلفة عندما تقتضي الحاجة.

وكشف تقرير ميداني أعده مركز بحوث تسليح الصراع بالتعاون مع العديد من المؤسسات بين سنتي (٢٠٠٦ و٢٠١٢) عن أنه من بين ١٤ حالة كشف فيها عن وجود أسلحة إيرانية هناك فقط ٤ حالات كانت مع الحكومات والعشر الباقية مع جماعات غير نظامية، حيث كانت تدعم الانفصاليين في منطقة «كاسامانس» في السنغال ومتمردي ساحل العاج، وجامبيا، وفي نيجيريا حركة إبراهيم الزكزاكي، الأمر الذي تسبب لاحقا بقطع حكومات هذه الدول علاقاتها مع إيران.

وكشف بحث ميداني بشأن النزاع في جمهورية أفريقيا الوسطى أنجزه مركز «أبحاث النزاعات المسلحة» البريطاني، أن بنادق مصنوعة في الصين وإيران انتهى بها المطاف في أيادي المتمردين في أفريقيا الوسطى لتسهم في إذكاء الصراع في البلد، وأوضح البحث أن هذه الأسلحة شحنت إلى السودان في بداية الأمر ثم أعيد تجميعها وشحنت في طائرات قبل توزيعها على المتمردين في جمهورية أفريقيا الوسطى.

ويقول الباحث الرئيس، مايك لويس، إن معظم الأسلحة المهربة إلى جمهورية أفريقيا الوسطى تم على نطاق محدود، ومن الصعوبة بمكان وقف هذه التجارة غير القانونية، حيث أن تدفق الأسلحة بشكل غير قانوني على هذه الدولة يؤدي إلى انتشار عدم الاستقرار في المنطقة برمتها بما فيها نيجيريا والكاميرون وجنوب السودان.

وكشفت كذلك شبكة فاكس نيوز عن نشاطات لشبكة تهريب أسلحة تدعى الوحدة ١٩٠ وهي تابعة لجيش القدس الإيراني حيث وظفت قرابة ٢٤ شخصا لتهريب الأسلحة إلى المنطقة المضطربة منذ أعوام، وكشف تحقيق شامل عبر البر والجو والبحر أن قوة القدس تزود الحوثيين بالسلاح حالياً، وقد حصلت فاكس نيوز على اسم فرد له دور مفصلي في وحدة ١٩٠ عبر أجهزة سرية غربية هو بهنام شهرياري المولود في ١٩٦٨ في شمال شرقي إيران، وقال المتحدث باسم البنتاغون الأدميرال جون كربي من قبل: إننا نعلم هناك أن علاقة بين الحوثيين وطهران، وأبدينا قلقنا مرات عدة تجاه العلاقات بشكل واضح.

نشاط إيران التسليحي في شرق إفريقيا:

بدأت الاختراقات الإيرانية في أفريقيا منذ وقت مبكر، وحاولت تلك الاختراقات التمدد سياسياً، وعسكرياً، واقتصادياً، ومذهبياً، وهي تشكل خطورة على مجمل أوضاع ومستقبل القارة، ووجود الإسلام السني الصحيح فيها، وقد كشف معهد الدراسات التنموية والدولية العالي بجنيف عن طريق المشروع الاستقصائي (مسح الأسلحة الصغيرة) SAS بتتبع أصول ومصادر توريد الأسلحة في إحدى أكثر المناطق الملتهبة في العالم وهي حدود دولتي (السودان، وجنوب السودان) في عصر ما بعد التقسيم، حيث تنتشر الميليشيات هناك والاقتتال الأهلي، حيث وجد المسح أن جزءًا لا يستهان به من هذه الأسلحة إيرانية الصنع، فإيران من جهة هي المسئولة – حسب مصادر في الأمم المتحدة أعطت المعلومات لـ SAS- بمفردها عن ١٣٪ من واردات الأسلحة للسودان بالكامل من ٢٠٠١ وحتى ٢٠١٢، وبذلك تجني إيران ثمرة علاقتها الاستراتيجية المتينة بالخرطوم آنذلك، حيث تسمح الخرطوم للبحرية الإيرانية باستخدام مياهها الإقليمية وترسو بوارجها في الموانئ السودانية ، ويمكن كذلك في السياق ذكر دعم طهران للخرطوم بعدد من طائرات الأبابيل الإيرانية بدون طيار للمراقبة.

وتزداد تلك الخطورة في اختراقات إيران لدول إفريقية تقابل سواحل البحر الأحمر وخليج عدن، سيما سواحل اليمن الغربية، حيث تسعى إيران لتوظيف علاقاتها من أجل إمداد الحوثيين ومَن معهم بالأسلحة والذخائر؛ فخط تهريب السلاح والذخيرة للحوثيين في اليمن، يعتمد على البحر أولاً، وكانت شحنات الأسلحة تصل بشكل عادي إلى الحوثيين، وقد اخترقت إيران دولاً أفريقية، وقامت بتجنيد بعضها، من أجل تحويلها إلى منصات تهريب للسلاح الإيراني المرسل إلى الحوثيين عبر البحر الأحمر وخليج عدن.

وتشكل منطقة شرق أفريقيا إحدى المحطات الإستراتيجية المهمة لإيران لتعميق وجودها في البحر الأحمر، ففي أعقاب زيارة الرئيس الإريتري أسياسي أفورقي لطهران في ٢٠٠٨ تردد أن إيران حصلت على تسهيلات في ميناء عصب على البحر الأحمر، وهو ما يعطيها نقطة ارتكاز تمكنها من القيام بمهام استخبارية ولوجستية في المنطقة لدعم الموالين لها في أفريقيا واليمن، ولعل سعي إيران لتطوير علاقاتها مع دول شرق أفريقيا الأخرى مثل كينيا وتنزانيا وجزر القمر يؤكد هذا المنحى الإستراتيجي في الاختراق الإيراني لأفريقيا.

ولم تتردد إيران في استخدام قوتها وما تملك من قدرات عسكرية من أجل بناء التحالفات والقواعد في أفريقيا، فقد أشار تقرير مهم صدر نهاية العام ٢٠١٢ عن منظمة «بحث تسليح الصراع» البريطانية إلى توزيع الأسلحة الإيرانية في أفريقيا. وتشمل هذه الأسلحة راجمات الصواريخ وقذائف الهاون والألغام الأرضية، وهي أسلحة أنتجت منذ العام ٢٠٠٢. وكان السودان يمثل أبرز الأمثلة الأفريقية على عمق التعاون العسكري مع إيران حيث يشمل هذا التعاون تصدير أنواع من الأسلحة والذخائر والمعدات الإيرانية للسودان، وذلك قبل تدهور العلاقات بين البلدين وانضمام السودان لتحالف عاصفة الحزم.

وهذا الجهد الإيراني يسعى من أجل تسميم أجواء المنطقة، فهو جهد تخريبي يريد تدمير

المنطقــة، وتحويلــها إلى ســاحات اقتتــال، ولأن الــدول الأفريقيــة الــتي تقابــل الــيمن غربــاً، وعــبر المنــاطق البحريــة، يــتم توظيفهــا في تهريــب الــسلاح، وتتــورط بالتــالي في صــراعات المنطقــة، وتــساعد في إيــذاء الــشعب الــيمني، والمنطــق يقــول إنــه لا بــد مــن الــسعي لوقــف هــذه الأنــشطة بكــل الوســائل الــسياسية، عــبر إجــراء اتــصالات مــع هــذه الــدول، والبحــث عــن نقــاط الاخــتراق وإغلاقهــا بكــل الوســائل المتاحــة، مــن أجــل إيقــاف دخــول الــسلاح الإيرانــي لهــذه المنطقــة، ومــن ثــم إنهاء الصراع في اليمن.

كيد إيران يرتد إليها:

شــهد نــشاط إيــران المــذهبي والتــسليحي في إفريقيــا عــدة إخفاقــات، بــسبب سياســتها الرعنــاء، فبتورطهــا في الــصراعات الداخليــة وتغــذيتها للنزاعــات بــشكل مباشــر خــسرت مــا حققتــه مــن إنجــازات، فــالجهود الإيرانيــة في الــسنغال مُنيــت بانتكاســة كــبيرة مــع اكتــشاف شــحنة الأســلحة القادمــة مــن إيــران باتجــاه غامبيــا، بهــدف تزويــد متمــردي الجنــوب الــسنغالي بالــسلاح. حيــث قطعــت كــل مــن الــسنغال وغامبيــا علاقاتهــا مــع إيــران في ٢٠١١، وقبلــها في أكتــوبر ٢٠١٠م رصــدت الــسلطات النيجيريــة عمليــة نقــل أســلحة قادمــة مــن إيــران في طريقهــا إلى غامبيــا، ورداً علــى هــذا الاكتــشاف قامــت الــسلطات النيجيريــة والغامبيــة بقطــع علاقاتهــا الدبلوماســية مــع إيــران وطــردت دبلوماســييها، كمــا توقــف التعــاون النيجــري الإيراني في مجال التكنولوجيا النووية سنة ٢٠٠٨.

وقــد خــسرت إيــران الــسودان كــذلك، والقــراءة الفاحــصة لــدور إيــران العــسكري في أفريقيــا تكــشف أن الــسودان كــان يمثــل قلــب الاســتراتيجية تلــك بالنــسبة لإيــران، وتنبــع أهميــة الــسودان الاســتراتيجية مــن موقعــه الجيــو اســتراتيجي، فهــو قريــب مــن (قلــب) العــالم العربــي، وبخاصــة مــصر. فهنــاك اعتمــاد متبــادل بــين الــسودان ومــصر، بمعنــى أن مــا يحــدث لأي طــرف يتــأثّر بــه الطــرف الآخــر، ووقــوع الــسودان بــين أهــم معــبرين للتجــارة العالميــة والــنفط في المنطقــة، وهمــا قنــاة الــسويس وبــاب المنــدب، حيــث تعْبر يوميــاً نحــو مائــة ســفينة و١٢٠ ألــف برميــل مــن نفــط الخلــيج، ومــا يحتويــه الــسودان مــن ثــروات طبيعيــة كالــذهب واليورانيــوم، كمــا يمكــن للسودان أن يكون البوابة الخلفية للقارة الإفريقية.

بالإضــافة إلى أن صــار الــسودان أرض المعركــة الجديــدة بــين إيــران وإســرائيل في صــراعهما الخفــي، ويرجــع ذلــك إلى خــشية إســرائيل مــن طبيعــة العلاقــات الــسودانية- الإيرانيــة الــتي شــهدت تقــدماً كــبيرا في الــسنوات الأخــيرة قبــل ٢٠١٣م، والــذي انعكــس علــى مجــالات التعــاون المختلفــة، والــذي بــات يهــدد أمــن ومــصالح إســرائيل في المنطقــة العربيــة والأفريقيــة معــاً، وفي المــستوى العــسكري، وقّــع البلــدان عــدة اتفاقيــات بهــدف ترســيخ التعــاون بينهمــا، والــذي تــضمن مــساعدة إيــران للــسودان عــسكرياً والمــساهمة في تحــول الجــيش الــسوداني مــن اســتخدام الــسلاح الروســي والــصيني إلى اســتخدام الــسلاح والــذخيرة الإيرانيــة، وعــن طريــق الــسودان كــان يــتم بيــع بعــض صــفقات الأســلحة الإيرانيــة إلى المــسلحين في القــارة الأفريقيــة، كمــا يــتم تــصنيع الأســلحة علــى الأراضــي الــسودانية، ومــا قــصف إســرائيل لمــصنع اليرمــوك للأســلحة في العاصــمة الــسودانية في منتــصف ليــل ٢٣ أكتــوبر٢٠١٢ إلا دليــل علــى ذلــك. ويرجــع أســبابه إلى وجــود وثــائق إســرائيلية تؤكــد أن الــسودان يمثــل حلقــة الوصــل بــين إيــران وحمــاس، وعــن طريقــه يــتم تهريــب الأسلحة إلى غزة.

كمــا ســبق أن وجهــت إســرائيل أكثــر مــن ضــربة لمجموعــات ســودانية داخــل الحــدود الــسودانية، واتهمــتهم بــأنهم مهربــو ســلاح إلى قطــاع غــزة عــبر ســيناء المــصرية، منهــا في مــايو عــام ٢٠١٢ حيــث قــصفت طــائرة إســرائيلية ســيارة الــسوداني ناصــر عــوض في منطقــة بورســودان، والاتهامــات للــسودان بالتعــاون مــع إيــران بإنتاجــه صــواريخ أرض- أرض الإيرانيــة طــراز «شــهاب»، وللــصواريخ الباليــستية الإيرانية.

ومعلــوم أن إســرائيل تَعتــبر الــسودان البلــد العربــي الأكثــر خطــورة بــسبب ثرواتــه وموقعــه الاســتراتيجي

على البحر الأحمر. لذا ساهمت إسرائيل بفعالية في تقسيم السودان، ونجحت في نسج علاقات عسكرية وأمنية واقتصادية مع دولة الجنوب التي تحولت إلى ممر أساسي للإستراتيجية الإسرائيلية نحو إفريقيا جنوب الصحراء.

وقد ساهمت عودة السودان للبيت العربي وابتعاده عن المحور الإيراني في تجفيف نشاط التسليح الإيراني والتوسع الشيعي المتسارع في إفريقيا، ويحتاج السودان لسد فجوة ما كانت تقدمه له إيران في مجالات التعاون التي كانت سائدة بين البلدين، وهو ما يرجو السودان أن يقوم الأشقاء العرب بكل مشتملات ذلك الدور الإيراني المشبوه.

المراجع:

١- تهريب السلاح الإيراني، صحيفة البيان الإماراتية، افتتاحية رأي البيان، ٢٠ أكتوبر ٢٠١٥م.

٢- هيثم قطب، عن التوغل الإيراني في أفريقيا، موقع ساسة بوست، على الرابط:
http://www.sasapost.com/iranian-incursions-in-africa /

٣- حمدي عبد الرحمن، الاختراق الإيراني الناعم لأفريقيا، موقع الجزيرة نت، على الرابط:
http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec-47d5-b7c4-3aa56fb899e2/5efc2775-dd89-4d7b-90c7-beb59aaa0dfe

٤- بوزيدي يحيى، إيران في إفريقيا: اختراقات وإخفاقات، موقع مجلة الراصد، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no=6520

٥- إرسال حمولات سلاح سرية إلى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، موقع منظمة مجاهدي خلق الإيرانية، على الرابط:
www.mojahedin.org/newsar/4405

هل للإعلام علاقات تعاونية مع "داعش" دون المجموعات الإرهابية الأخرى؟

د. ماجد رافيزاده- رئيس المجلس الأمريكي الدولي لشؤون الشرق الأوسط، ومستشار مجلة هارفارد، نشر في the world post بتاريخ ٢٠١٥/١٢/١٩

ترجمة: محمد ناصر، خاص بالراصد

إن بعض المجموعات الإرهابية تحصل على كم كبير من الاهتمام عبر وسائل الإعلام في حين أن الاهتمام بباقي تلك المجموعات ضعيف جداً إن لم يكن معدوما.

فعلى سبيل المثال، وسائل الإعلام الغربية الضخمة تكرس الكثير من أخبارها وتحليلاتها «لداعش» - وهي جماعة سنية متطرفة- وسط فشلها في رفع مستوى الوعي العام حول الجماعات الإرهابية الأخرى.

فكما يبدو فإن هناك علاقة تعاونية بين وسائل الإعلام الضخمة وداعش، فمن جهة يحصل داعش على الترويج والدعاية من هذه الوسائل، ومن جهة أخرى زيادة التقييم والمشاهدين والقراء وعائدات الإعلانات في هذه الوسائل.

هناك أسئلة هامة للنقاش ومنها: لماذا تحظى بعض الجماعات الإرهابية دون الباقي بمعظم اهتمام وسائل الإعلام؟ وما هي باقي المجموعات الإرهابية الكبيرة تلك؟

هناك أكثر من ٢٥٠ مجموعة إرهابية في جميع أنحاء العالم، من مختلف الخلفيات الدينية والاجتماعية والسياسية، وما يقرب من ٢٥ ٪ منها تمولها وتدربها وتدعمها الحكومة الإيرانية، وتلك المجموعات الإرهابية مثل «كتائب الإمام علي» تستخدم تكتيكات وأساليب مروعة شبيهة بالتي عند داعش، وفي الحقيقة فإن هذه المجموعة عرفت من خلال بث مقاطع مصورة تقطع فيهاالرؤوس وتحرق فيها الأجساد، وهي مدعومة من إيران وتابعة «لجيش المهدي» بقيادة مقتدى الصدر

ومتفرعة منه، والأمين العام لهذه الكتائب هو شبل الزيدي المعروف بطائفيته وقسوته.

وهناك ميليشيا أخرى معروفة باسم «عصائب أهل الحق» المعروفة بعنفها والتي يقال إنها تتلقى ٢ مليون دولار شهريا من الجمهورية الإسلامية (إيران).

قبل كل شي، يبدو أن وسائل الإعلام والإعلاميين يفضلون العمل البسيط والسهل على العمل الصعب والمعقد، فالحديث عن بشاعة وسوء ممارسات داعش أسهل وأبسط من إجراء البحوث حول الميليشيات المتطرفة الباطنية الأخرى.

فعلى سبيل المثال فإن الحديث حول كتائب الامام علي أو عصائب أهل الحق يتطلب فهما بالأوضاع الراهنة في العراق وإيران ولبنان وكذلك فهم العلاقة بين الحرس الثوري الإيراني والجماعات السياسية الأخرى.

ونظرا للسرعة والطلب الفوري اللذين يتصف بهما الاعلام فإن الاعلاميين يرون أن الحديث عن داعش اسهل من اجراء البحوث حول باقي الجماعات الإرهابية، ويجب الإشارة إلى الحِكمة التي أخبرني بها دبلوماسي إيراني حينما قال: «نحن نفضل القيادة ليلاً بدون استخدام الإنارة»، وبعبارة أخرى (نفضل العمل في الخفاء)، وهم يفعلون ذلك في الوقت الذي يعمل فيه داعش جاهداً لجذب الاهتمام والانتباه عبر وسائل الاعلام والذي يعتبر ايضا ماهرا في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي مثل تويتر وفيسبوك ويوتيوب وغيرها، في حين أن باقي الميليشيات أقل عرضة للاهتمام الإعلامي.

فمثلا، تعتمد الجماعات المدعومة من إيران على بعض أساليب وتكتيكات الجنرال قاسم سليماني، قائد فيلق القدس التابع للحرس الثوري الإيراني وهي: شن الهجمات في الخفاء ونفي مسؤوليته عنها.

إن الهدف الأساسي لهذه الجماعات هو الدخول في المؤسسة السياسية للدولة وتولي صنع القرار من فوق، وقد نجح حزب الله في فعل هذا في لبنان وكذلك فعلت الميليشيات الشيعية العراقية الشيء نفسه في العراق.

ويضاف إلى ذلك، فإن بعض وسائل الإعلام تعرض هذه الميليشيات المتطرفة على أنها ذات شرعية بذريعة أنها مدعومة من جهات دولية ووطنية أو أنها تحارب داعش.

إن كثيرا من هذه الجماعات على صلة مباشرة مع قاسم سليماني أو مع المرشد الأعلى آية الله علي خامنئي، فإذا قامت أي من تلك المجموعات بفعل إرهابي أو عنف فإن وسائل الإعلام الضخمة تلك لن تقوم بانتقاد ذلك الفعل بحزم.

وعلاوة على ذلك، فإن وسائل الإعلام تلك يتحكم بها طلب الربح المادي حتى تتمكن من البقاء كمؤسسات، فهي تبث مواضيع من شأنها زيادة عدد المتابعين وزيادة المعلنين.

أيضا، فإن طبيعة جرائم داعش تجذب الانتباه والاهتمام عبر وسائل الإعلام لأن هذه الجرائم تبدو وكأنها تستهدف الناس خارج الشرق الأوسط، كظهور داعش على أنه تهديد للأمريكيين أو الأوروبيين، فالناس يقرؤون عما يعتقدون أنه تهديد محتمل، وأن الكثير من الأمريكيين والأوروبيين يعتقدون أن من قام بتفجيرات باريس ولندن ومن قام بعمليات إطلاق نار كبيرة مثل سان بيرنادينو، يستطيع القيام بذلك في أي مكان.

وفي الختام، فعلى الرغم من أن هناك العديد من المجموعات الإرهابية في جميع أنحاء العالم يقومون بارتكاب الفظائع ضد المدنيين، إلا أن القليل منها تحظى باهتمام من وسائل الإعلام، ويجب على وسائل الإعلام والمراسلين والصحفيين بذل المزيد من الجهد لتسليط الضوء على هذه الجماعات الإرهابية غير المعروفة، وكذلك تسليط الضوء على معاناة الناس المنسيين الذين وقعوا ضحية لهذه الجماعات.

المكر الإيراني
في القضية السنية العراقية

صباح العجاج[*]– خاص بالراصد

طفت (القضية السنية العراقية) على سطح المشهد مؤخراً برغم أنها قديمة ومؤلمة، نعم برزت متأخرة عن الوقت المطلوب، لكنها بدأت تتضح بشكل سريع منذ عام ٢٠١٢، ولعل من أسباب هذا التأخر تشتت حَمَلتها وأسباب عدة ليس هذا مجال ذكرها.

لقد أيقن الجميع تقريبا أن القضة السنية لا يمكن تجاهلها أكثر مما جرى، بل إن القضية السنية تجاوزت الحدود العراقية لتصبح قضية تهم دول المنطقة بعد انفضاح المحور الشيعي الذي تقوده إيران في كل من العراق وسوريا ولبنان (حزب الله) واليمن (الحوثي)، ويتبع هذا المحور غالب التجمعات والأقليات الشيعية في أرجاء العالم، ومن ثم تطور هذا المحور ليأخذ بعدًا عالميا جديدًا يهدد الوجود السني؛ فإيران اليوم تتلاعب في تركيبة العراق وسوريا الديمغرافية وربما تساهم في ظهور خرائط جديدة في المنطقة.

لكن الأطماع الإيرانية باتت تدرك أنّ هناك مخطط أمريكيا مدعوم غربيا لإيجاد شرق أوسط جديد، وأن أطماعها بالسيطرة على العراق كاملاً أمر صعب للغاية ويصطدم بتلك المخططات، التي لا تريد إيران قوية للغاية تهدد الغرب وإسرائيل على الحصص والنفوذ إلا بما يناسبها هي.

كما أن إيران تدرك كذلك حقيقة حجم الوجود السني الحقيقي في العراق، لا ما تذيعه الوكالات الغربية من أنه يمثل فقط ٢٠ ٪، بل هو وجود كبير إن لم يكن أكثر من النصف فهو على تخومها، وهو وجود منافس ومعرقل لمشاريعها الطائفية في العراق؛ لذلك كان من مخططات إيران في العراق السيطرة على من يمثل المكون السُني العراقي، ليكون تابعا أو مقربا لها.

ومع انطلاق تحركات سنية هنا وهناك لتأسيس واجهة جديدة تعبر عنها بصدق، سعت إيران لمعرفة خارطة المكونات السنية وتنوعاتها واختلافاتها لتنسج بدورها ثوبا جديدا من المكونات السنية يكون تابعا لها أو مقربا منها.

وفيما يلي بيان لمحاولات تكوين واجهة سنية والموقف الإيراني منها:

الوقف السني ومن يديره:

حاول الشيعة زمن رئيس الوزراء السابق نوري المالكي منع تعيين أي رئيس جديد للوقف السني إلا بموافقته، رغم أن قيادة الوقف السني حق خالص للسنة بالعراق لا يجوز تدخل الأطراف الأخرى به، كما هو حال بقية الأطراف إذ لا يجوز لأحد أن يتدخل في تعيين قياداته.

ونجح الشيعة اليوم في زمن رئيس الوزراء الشيعي د. حيدر العبادي[1] بالتعاون مع إيران على فرض اسم مقرب منها لقيادة الوقف السني وهو د.عبد اللطيف الهميم الذي يملك علاقات قديمة مع إيران[2]، حيث عيّن العبادي الهميم في ٢٠١٥/٦/١٤ بالوكالة رئيسًا بالوقف السني.

كان الهميم في طروحاته السابقة من الذين يرفضون الكلام في المكونات العراقية ويعتبر ذلك طائفية صدّرها الاستعمار، لكن اليوم له طرح مختلف فأصبح يتحدث عن ضرورة إيجاد مكون

(*) كاتب عراقي.

(١) يخطأ من يظن أن العبادي رئيس وزراء ضعيف، بل هو ينفذ أجندة مشتركة لأمريكا وإيران، نعم تتضارب بعض الأحيان مصالح الطرفين، لكنه يظل رجل حزب الدعوة فلا يحلم أحد أن يأتي حل من قبله.

(٢) يعود تاريخ علاقاته مع إيران منذ أن أرسله صدام مبعوثا لإيران في وقت الحصار في تسعينيات القرن الماضي، ثم تطورت وقت الاحتلال بعد أن شكل مجلس علماء ومثقفي العراق. انظر مقالنا في الراصد العدد ١٣١، «**قراءة في مواقف بعض النخب السنية العراقية، مجلس علماء ومثقفي العراق**».

سني! والمتتبع والمقرب منه يدرك أنه كُلّف بتشكيل جبهة سنية داخلية لها صلة وطيدة بإيران، فبدأ يتحرك بحرية داخل العراق لإنشاء تجمعات سنية من خطباء مساجد وعشائر ونخب ليكون ممثلا للعرب السنة برعاية حكومية عراقية، داعيا للتفاهم مع الحكومة الحالية (الشيعية).

والهميم شخصية ذكية، وهو مفاوض ناجح يمتص الخصم بسهولة وله نفَس طويل وتخطيط مسبق؛ فهو يعمل على عدة توجهات سنية، ومن أهمها التوجهات البعثية التي كانت موجودة داخل الوقف ووزارة الأوقاف زمن النظام السابق، وفعلا قرّب وأعاد شخصيات كانت متهمة من قبل الحكومات الشيعية، ويبدو أنه يهدف إلى تخفيف عداء حزب البعث تجاه الحكومة بطرق مختلفة، فأعاد أيضاً عددا من الشخصيات الصوفية التي كانت مقربة من عزة الدوري للوقف السني كبديل أفضل لأن التصوف أقل عداء وحديّة من كل التوجهات تجاه التشيع وإيران.

هذه هي المحاولة الأولى المدعومة إيرانيا بواسطة هذه الشخصية المراوغة الذكية والذي قدّم تنازلات كبيرة للشيعة من خلال رئاسته للوقف السني.

ظهور ائتلاف القوى السنية:

أعلن في تركيا بتاريخ ٢٠١٥/٧/١٣ عن تشكيل ائتلاف القوى السنية، ويضم مجموعة من فصائل المقاومة والنخب السياسية، ولأن الائتلاف ليس تابعا لجهة معينة لذا جرى التضييق عليه إعلاميا وعدم الترويج له، لأنه يشكل تحديا للحكومة الشيعية في العراق ولإيران، ويمثل هذا الائتلاف محاولة لسنة الخارج المعارضين للعملية السياسية في العراق من تشكيل واجهة تعبر عن السنة وقضيتهم في العراق.

مؤتمر قطر:

في قطر بتاريخ ٢٠١٥/٩/١٤ عقد مؤتمر جمع بين سنة العراق المنخرطين بالعملية السياسية وبعض أطراف سنة المعارضة، قوطع المؤتمر من قبل حزب البعث وهيئة علماء المسلمين ولم يُدع له ائتلاف القوى السنية، وقيل إن حيدر العبادي كان موافقا عليه وقيل غير ذلك، لكن المؤتمر هاجمته التوجهات الشيعية في العراق بشدة ولم يكتب له الاستمرار.

لقاء الأردن:

في نهاية عام ٢٠١٥ شهد الأردن تحركات لسياسيين عراقيين سنة مقيمين بالأردن والإمارات وتركيا، ومقربين من إيران والمالكي لعقد لقاء للسنة المعارضين ودعوتهم للتفاهم مع الحكومة العراقية الشيعية، ومن هذه الشخصيات: محمد سلمان الطائي (محمد السني) وحسين الفلوجي وهما برلمانيان سابقان، ود. محمود المشهداني، رئيس البرلمان العراقي سابقا، وغيرهم، للترويج إلى لقاء مختلف عن لقاء قطر داخل الأردن، وأن مؤتمرا بين سنة الخارج والداخل لابد من أن ينعقد وإجراء عملية مصالحة سنية سنية تمهيدا لمصالحة شيعية سنية، وقد صرح بعض هؤلاء أن هذه التوجهات تباركها الحكومة العراقية وإيران، وتصريحهم بهذا يتضمن احتمالين:

الأولى: أنها رسالة من إيران للسنة أن لا سبيل للعمل خارج سيطرتها في العراق، وأن على أصحاب المشاريع السنية التفاهم مع إيران وليس الذهاب لأمريكا أو السعودية أو تركيا، فمقاليد الأمور بيدها.

الثانية: أنها محاولة للتنفير من المشروع وإحباطه، والحفاظ على نفوذ سنة الحكم الذين ارتبط أكثرهم بالمالكي ثم تحولوا إلى سنة إيران، وإيران سعيدة بهم ولا ترغب باستبدالهم.

هذه بعض المحاولات لتشكيل واجهة سنية ومحاولات إيران إحباطها بما يكشف عن مكر إيراني كبير في التلاعب بالقوى السنية أو احتوائها.

الحزب الإسلامي وجماعة الإخوان:

يعتبر اختراق واحتواء هذا الكيان من أسهل الأمور على إيران للسيطرة على المكون السني؛ ذلك

أن هـؤلاء يمتلكـون علاقـات قديمـة مـع المعارضـة الـشيعية مـن خـلال مـشاركة قيـادات إخوانيـة عراقيـة في مـؤتمر لنـدن عـام ٢٠٠٢ وتعاونهـا مـع المعارضـة الكرديـة والـشيعية للنظـام الـسابق، ومـن أشـهر هـذه القيـادات أيـاد الـسامرائي (أمـين العـام الحـزب الإسـلامي) وأسـامة التكـريتي، ويؤيـد ذلـك أن اسـم الحـزب الإسـلامي كـان مطروحـا منـذ احـتلال العـراق وتكوين مجلس الحكـم كـأحد المكونات السنية.

إنّ علاقـة جماعـة الإخـوان العالميـة بـإيران في عـدة دول معلنـة ومعروفـة لـذلك لـن تكـون علاقـة الحـزب الإسـلامي بـإيران أمـرا مخالفـا للنـسق الـتي تـسير عليـه جماعة الإخوان في العالم العربي والإسلامي.

والحـــزب الإســـلامي اليـــوم يتـــصدر مـــشهد المكونـات الـسنية المـراد تأسيـسها مـستقبلا خاصـة بعـد أن قـرر سياسـيا أن يكـون رئـيس مجلـس النـواب مـن جماعـة الحـزب الإسـلامي فكـان إيـاد الـسامرائي ثـم سـليم الجبـوري، لـذلك تـسعى إيـران ليكـون المكـون الـسني بيـد الحـزب الإسـلامي لأنـه مقـرب منها جدا ويحظى برعاية وعلاقة جيدة مع إيران.

وبمـوازاة ذلـك تعمـل إيـران بخبـث شـديد علـى تفريغ هذه المحاولات بطرق مختلفة منها:

- دعـم قـوى سياسـية تـرفض تـشكيل الـسنة لواجهـة مـستقلة لهـم بحجـة الوطنيـة، فقـد باشـر د. إيـاد عـلاوي (علمـاني شـيعي) للترويـج لمـشروع وطـني خـارج العـــراق جامعـــا مجموعـــة مـــن الـــسنة العلمـــانيين والـشيعة، لتـشكيل جبهـة سـنية شـيعية وطنيـة، وهـذا المـشروع مـدعوم مـن قبـل العبـادي لمواجهـة المطالبـة الـسنية، وقـد سـبق لإيـران أن أحبطـت القائمـة العراقيـة بقيـادة عـلاوي حـين فـاز بالانتخابـات علـى نـوري المـالكي، لكـن الآن يُـدعم ليحـبط المـشروع السني!

- توجيـه ضـربات قانونيـة اسـتباقية لمـن يـروّج لمـشاريع سـنية مثـل البرلمـاني والـوزير الأسـبق رافـع العيـساوي والتـاجر العراقـي المعـروف خمـيس الخنجـر، وأصـدرت بحقهمـا أحكامـا بـالحبس لعـدة سـنين بتلفيـق تهـم إرهابيـة لهمـا، كمـا تم ذلـك أيـضاً بحـق محـافظ نينـوى الـسابق أثيـل النجيفـي لأنـه نـادى بإقليم نينوى السني.

- وممـا تخطـط لـه إيـران وتتحـسب وقوعـه أنـه إذا فـرض علـى العـراقيين مـشروع الأقـاليم مـن قبـل دول الجـوار وأمريكـا، لـذا فـستختار أخـف الـضررين وتمنـع ظهـور إقلـيم سـني يجمـع محافظاتـه الخمـس أو الست وستقبل بإقليم للأنبار، وربما إقليم نينوى.

إن إيـــران تحـــرص دائمـــا علـــى أن تـــضع لكـــل مـشروع خططـاً، وخططـاً بديلـة، ولـذلك فهـي تعمـل بكـل قـوة علـى إجهـاض أي مـشروع يقـف في وجـه مـشاريعها الراميـة للهيمنـة علـى العـراق وغـيره مـن دول المنطقـة، وكمـا عملـت إيـران بواسـطة المـالكي وسـوريا لتجنيـد بعـض الـسنة لـصالحها، فإنهـا اليـوم تعمـل لتجنيـد سـنة تبعـاً لهـا بـشكل مباشـر، لـذلك علـى الـسنة أن يـدركوا طريقـة إيـران في التعـاطي مـع المـشاريع عـبر الاخـتراق بـدسّ عملائهـا أو عـبر إقامـة المشروع البديل العميل لها.

عسكرة التشيع

١- طلعت رميح(*) – خاص بالراصد

تـتلخص جملـة أهـداف الاسـتراتيجية الإيرانيـة «العليـا»، منـذ وصـول الخمـيني إلى الحكـم وحتـى الآن – وربمـا غـدا- في إعـادة تـشكيل/إحيـاء الامبراطوريـة الفارسـية علـى أنقـاض الـدول العربيـة الإسـلامية في محـيط إيـران، وتحويـل منـاطق «جـوار تلـك الامبراطوريـة» - بعـد إقامتهـا- إلى مجـال حيـوي خاضـع لتلـك الامبراطوريـة، أي العـودة إلى مرحلـة مـا قبـل الإسـلام، وكـل ذلـك كمرحلـه أولى يجـري خلالهـا الانتقـال بـشكل متـدرج – يتـسارع في مرحلـة لاحقـة- للـسيطرة علـى كـل المـساحة الـسكانية والجغرافيـة الـتي وصـل إليهـا الإسـلام عـبر تاريخه.

هـذا هـو الهـدف العـام والمحـور الـرئيس الـذي

(*) كاتب مصري.

تنتظم حوله جملة الأهداف الأخرى على تعددها واختلافها، سواء في داخل إيران أو في الساحات والدول المختلفة من دول الجوار إلى أقصى الدول والتجمعات الإسلامية.

لقد جرى تشكيل جهاز الدولة الجديد في إيران - عقب وصول الخميني للسلطة- ليكون عماده ومحوره الرئيسي الحرس الثوري والباسيج كأجهزة دولة من نمط خاص، إذ هي مؤسسات فوق الدولة وفوق القانون لتكون تحت قيادة المرشد وهيئاته - التي هي فوق كل السلطات التقليدية والمنتخبة - والتي تكرس جهودها ومهامها لتحقيق هدف هذا البناء الإمبراطوري، فيما يقوم الجيش النظامي وأجهزة الأمن بالدور التقليدي في العمل داخل البلاد.

كما جرى وضع استراتيجيات الدولة لتحقق البناء الداخلي القادر على تحقيق التغلغل في الخارج لإنجاز البناء الإمبراطوري لا لتحقيق البناء الداخلي فقط. قامت الاستراتيجيات الإيرانية على تشكيل منظومة عدوانية تجاه الخارج ولم تبنَ على أساس حماية الداخل من الخارج، كما هو حال الدول العادية.

وتتلخص وسائل إيران في الوصول إلى هذا الهدف الأعلى من كل هدف آخر في إيران، بعسكرة المجموعات السكانية الشيعية في الخارج وتحويلها إلى وضعية قادرة على الوصول إلى سلطة الحكم في بلدانها بقوة السلاح إن تمكنت أو تفكيك وإضعاف الدول التي تعيش فيها تلك المجموعات السكانية، لتصبح إيران في وضع أقوى، فيما تدخل تلك الدول في وضع الجاهزية للاحتلال، عبر افتقادها القدرة على مواجهة إيران.

هذا هو المحور الرئيس في محاور العمل الخارجي لإيران، وما بقي في مظلة الأهداف الإيرانية وفي مساحة الوسائل المتبعة، فهو تفاصيل أو إجراءات تدور حول هذا السلوك الاستراتيجي.

تلك هي المضامين العليا في الفكر والتخطيط والفعل الإيراني سواء كانت خطط استراتيجية تفصيلية أو كانت مجموعات من حزم الممارسات السياسية والمجتمعية والديبلوماسية والإعلامية والاقتصادية .. الخ.

ومعلوم أن الهدف النهائي هو هدف نظري ومعنوي –حتى يتحقق – وأن الخطط الاستراتيجية هي خطط لا تتحقق على الأرض دفعة واحدة بل عبر مراحل وسلوك وتكتيكات وممارسات متعددة الأشكال والأنواع والتوقيتات، فإن عسكرة التشيع – الذي تقوم عليه خطط بناء وعمل الحرس الثوري الإيراني وما يرتبط به- هي الظاهرة العملية الجارية منذ بداية اعتماد خطة الوصول لتحقيق هدف البناء الإمبراطوري أو منذ سيطرة الخميني على السلطة في إيران.

وفي ذلك يبدو واضحا أن استراتيجية عسكرة التشيع تعتمد مجموعه من الخطط أو حزما من الخطوات والإجراءات لا يقتصر تنفيذها على دول المحيط الجغرافي لدولة المركز (إيران) بل هي حركة تتمدد في كل أنحاء العالم الإسلامي، إذ نحن لسنا أمام بناء إمبراطوري فارسي ذي طبيعة إقليمية، بل أمام خطة بناء قوة إمبراطورية على الصعيد الدولي، كما أن المخطط الإيراني يدرك أنه لا إمكانية لبناء إمبراطورية شيعية إلا بإضعاف الكيان الإسلامي كله.

من التمدد بالتبشير إلى التحكم بالسلاح

يمكن القول بأننا أمام ذات المشهد في مختلف الدول الإسلامية، تتحرك المخابرات الإيرانية لاجتذاب أفراد من المجتمعات الإسلامية والسيطرة عليهم- كما يقال في مجال مثل هذا النشاط- سواء كانوا من الشيعة أو عناصر يمكن نقلها إلى حالة التشيع، وعندها يجري إرسال تلك الشخصيات إلى إيران سواء تحت مسميات تلقي العلوم والدراسات أو لزيارة بعض المؤسسات، وهناك يجري إدخال تلك العناصر – بعد إخضاعهم

لإجــراءات خاصــة في أجهــزة الاســتخبارات- إلى الحــوزات، لتحويلــهم إلى كــوادر قياديــة مدربــة ومجهــزة ومختــبرة عــبر عمليــات متعــددة، فهــم يخــضعون لعمليــات غــسيل مــخ ويحــصلون علــى تــدريبات اســتخبارية معقــده وإلى تــدريبات عــسكرية بأبعادهــا التخطيطيــة والعمليــة فــضلاً عــن التــدريبات والإعــداد لممارســة النــشاط الــسياسي، مــن قبــل ومــن بعــد يجــري إعــدادهم فكريــا ومــنحهم درجــات في علــوم التــشيع، بعــدها تــدور الــدورة العكــسية، فيجــري إعــادة هــؤلاء إلى بلادهــم، لبــدء النــشاط، وإلى جــوارهم كــوادر مــن المخــابرات الإيرانيــة والحــرس الثــوري، وفي بعــض الأحيــان يلحــق بهــم بعــض المعممــين الإيــرانيين – وتكــون الحركــة وفــق خطــط أعــدت بإحكــام في إيــران– وفــى ذلــك الوقــت تكــون الأوامــر قــد صــدرت للــسفارة الإيرانيــة في هــذا البلــد، بــأن تكــون بإمكانياتهــا وخبراتهــا وأموالهــا تحــت إمرة هذا الفريق فيما يطلب ويحتاج.

وقــد تختلــف الــصيغ المعتمــدة للحركــة والنــشاط، أو لنقُــل إنهــا تتعــدد مــن إنــشاء حــسينيات إلى تــشكيل مراكــز ثقافيــة إلى تــشكيل جمعيــات أو أحــزاب، أو كــل ذلــك في وقــت واحــد، إذ الأمــر لا يجــري لأفــراد بــل لمجموعــات مــن الكــوادر في كــل بلــد مــن الــبلاد الإســلامية، وهـــي عمليـــه تطوريـــة ودائمـــة تتوســـع باســتمرار لكــل حــصاد جديــد في نــشاط الكــوادر الأولى، لتــصل حــد تأســيس جامعــات تقــوم بتخــريج مئات أو آلاف الكوادر سنويا.

لقــد جــرى زرع آلاف الكــوادر في عــشرات الــبلاد، وكــان طبيعيــا أن يجــري الاهتمــام بعمليــات تطــوير النــشاط بمنــاطق محــددة وفــى بلــدان محــددة قبــل غيرهـــا– دون إخـــلال بفكـــرة التوســـع في جميـــع الــدول– فكانــت لبنــان والعــراق في المقدمــة لأســباب تتعلـــق بـــدورها بالاســـتراتيجية الإيرانيـــة، وكـــان للخلــيج مكانــه في تلــك الخطــط مــع إعطــاء الاهتمــام بـــالبحرين أولا (للقـــرب الجغـــرافي ولأبعـــاد تتعلـــق بوجودهــا في طــرف الخلــيج ولوجــود نــسبه ســكانية معتــبرة – وإن ليــست الغالبيــة كمــا يــدعون)، وجــاء العمــل في الــيمن تــصعيديا ومتــسارعا ووفــق العمــل الــسياسي العــسكري المباشــر (لوجــود جماعــه مغلقــة كــان تــشييعها أســهل وتأثيرهــا أكــبر وبحكــم الطــابع القبلــي ولوجــود حكــم متعــاون)، فيمــا جــرت الأمــور في ماليزيــا وإندونيــسيا مــن جهــة، ودول أفريقيــا مــن جهــة أخــرى، وفــق منطــق التوســع والانتــشار وبنــاء ركــائز ذات طــابع اســتراتيجي بعيــد الأمــد علــى صــعيد التحــرك الواســع، وهنــاك جــرى الأخــذ بفكــرة البعثــات الدراســية في إيــران، وإطــلاق المراكــز الثقافيــة المتعــددة في كــل بلــد، لتحقيــق عمليــات تغلغــل عميــق في داخــل المجتمعــات لنــدرة وجــود شــيعة مــن الأصل هناك.

هكــذا جــرى الأمــر بهــدوء وأخــذ مــداه في منــاطق، فيمــا جــرى الأمــر متــسارعا في منــاطق أخــرى، حتــى صـــار لإيـــران وجـــود متعـــدد في درجـــات قوتـــه، في مختلـــف الـــدول الإســـلامية، كمـــا صـــار النـــشاط متنوعـــا، غـــير أن كـــل تلـــك النـــشاطات في مختلـــف أنحــاء العــالم الاســلامي، احتــوت جميعهــا ومنــذ لحظــة بــدايتها الأولى، علــى عنــصر العــسكرة، ولم يتعلــق أمـــر إظهـــار النزعـــة العـــسكرية أو التـــشكيلات الميلــشياوية، إلا بظــروف المواءمــة مــع الوضــع الــسياسي في كــل مجتمــع ودولــة، وبمــدى تطــور قــدرة المركــز (إيــران) علــى تــوفير الحمايــة أو علــى حــصاد نتــائج الدور العسكري لتلك الميلشيات.

لقــد اعتمــدت إيــران منهجــا انقلابيــا، يقــوم علــى تحويــل الحالــة الــشيعية «العاديــة» إلى وضــعية التمــايز عــن غيرهــا مــن الــسكان، ثــم حولتهــا إلى مجموعــات انعزاليــة في الــسلوك (تجــاه الآخــر داخــل المجتمعــات) وغــيرت انتماءهــا (اذ نقلــت انتماءهــا إلى إيــران بــدلا مــن أوطانهــا)، حتــى صــارت تلــك المجموعــات والكتــل الــسكانية الــتي حولتهــا في وضــعية عدوانيــة تجــاه الدول والمجتمعات التي كانت جزءا منها.

لم تحـــوّل إيـــران تلـــك الجماعـــات نحـــو بنـــاء حركــات مطلبيــة تبحــث عــن «حقوقهــا» في داخــل مجتمعاتهــا ودولهــا وضــمن حركــة جمهــور الــشعب، بــل حوّلتهــا إلى مجموعــات تعــادي محيطهــا وتعمــل علــى

تغيير عقيدته بالتبشير ومن بعد بقوة السلاح، لقد حوّلت إيران فكرة المظلومية إلى وضعية عدائية وقتالية ضد الآخر، أو للدقة ضد المسلمين.

وإذ سارت الأمور على هذا النحو، وإذ وجدت إيران نفسها تتحرك في فراغ واسع بلا مقاومة بسبب الغفلة لدى المسلمين، فقد تشدد سعيها وصارت أشد عدوانية وأكثر إسراعا بالحركة والتحول نحو العسكرة، وهو تطور أيقظ المسلمين ودفعهم لحركة مضادة، فكان ما رأينا من تبدل المشهد.

وكانت آخر تجليات هذا الوعي الجديد، ما حدث في نيجيريا، التي تحركت فيها إيران لسنوات طوال دون أن يواجهها أحد، وفجأة جرت الأحداث الأخيرة التي شكلت نموذجا للوعي بما يجري من خطط إيرانية وإدراكا لمخاطر الصمت.

وإعلانا بالمواجهة جرى التحرك المضاد للتشيع أو لعسكرة التشيع في نيجيريا عبر صيغه استكشافيه تجريبية لم يكن الجيش النيجيري ذاهبا «بوعي» المواجهة، بل كان ذاهبا بصيغة البحث والاستكشاف لما يجري، ففوجئ بما لم يتوقعه من ردة فعل عسكرية على وجوده، فظهر البعد الحقيقي الدفين لخطة عسكرة التشيع، فتعامل بالمثل.

سيرة التغيير والانقلاب بالسلاح

مرة أخرى، نحن أمام ذات المشهد «الواحد» في مختلف الدول الإسلامية، على تعقد واختلاف ظروفها، ففي العراق، ومنذ ثورة الخميني وحتى الآن، كان مشهد عسكرة التشيع هو العنوان الدائم، لكل الحركة الإيرانية في داخل هذا البلد.

لقد شكلت إيران ميليشياتها منذ وقت مبكر، إذ دربت بشكل دائم كوادر شيعية عراقية على أرضها صارت تدفع بها طوال الوقت إلى داخل العراق، فقاموا في البداية بارتكاب أعمال إرهابية في داخل العراق، لكن الأمر تطور دوما باتجاه تعميق حالة عسكرة التشيع. فحين اندلعت الحرب العراقية الإيرانية ووقت أن ساد الاعتقاد بتركيز إيران على بناء وتطوير جيشها وتسليحه خلال الحرب، فقد أثبتت أحداث حرب الخليج الثانية وحرب تحرير الكويت من بعد، مدى ما أولته إيران من أهمية دائمة لم تتقطع بتشكيل وتقوية ميلشياتها – رغم هذا الانشغال بالحرب – إذ ظهرت تلك الميلشيات واندفعت من الحدود الإيرانية لتشارك في الأعمال القتالية، ولتعلن تمردا عاما في جنوب العراق.

وقد تجدد الإدراك بمدى ما أولته إيران لتشكيل مثل تلك الميلشيات وجهوزيتها للدفع بها، مع إطلاق الولايات المتحدة حربها لاحتلال العراق، إذ تحركت تلك الميلشيات العسكرية وحشدت المواطنين الشيعة في داخلها وخلفها لمساندة الاحتلال الأمريكي للعراق، كما توسع تشكيل تلك الميلشيات ما بعد الاحتلال حتى صارت جاهزة لتشكل محور الأساس في بناء جيش الاحتلال، كما ظهر الأمر جليا أو أكثر جلاءً، حين تعرض هذا الجيش للانهيار، إذ شكلت إيران الحشد الطائفي الذى بات محور العمل العسكري ضد السنة في العراق، أما الكاشف الأكبر فهو هذا التكاثر الفطري لظاهرة الميلشيات الإيرانية فى العراق، حتى وصل الأمر بها حد التصدير لتلعب ذات الدور في سوريا، بعد اندلاع الثورة السورية ضد نظام الأسد الموالي طائفيا ومصلحيا لإيران.

وفي سوريا كان الأمر جليا أيضا، وإذ ساد تصور بتركيز إيران على دعم نظام بشار عسكريا من خلال الحرس الثوري الإيراني والميلشيات المستوردة من العراق ولبنان، فقد أظهر تطور الصراع ولوج إيران وتركيزها على فكرة تشكيل ميلشيات شيعية في سوريا، كما أعلن عن تشكيل حزب الله السوري، وكان لافتا أن أظهرت تجربة عسكرة الشيعة في سوريا –على قلة عددهم– أن أوفدت إيران مجموعات شيعية من أفغانستان وباكستان ومن دول الاتحاد السوفيتي السابق، لتشارك في الصراع الجاري في سوريا من جهة، ولتكون نواة عسكرة المجموعات السكانية

الشيعية في البلاد التي قدمت منها، بعد ذلك وصل الحال أن ثبت وجود بعض أبناء الشيعة من الخليج ضمن تلك المجموعات المقاتلة ضد السنة في سوريا، بما أكد شمولية فكرة وخطة عسكرة التشيع وجعلها ظاهرة عامة وشاملة.

وفي المشهد اليمني فالأمر فاق حالة إظهار عمومية خطة عسكرة التشيع، ليسجل قدرة هذا التشيع للأقلية السكانية على خوض ٦ حروب ضد جيش البلاد، وعلى تشكيل تحالفات تمكّن تلك الميلشيا من استخدام القوة المسلحة للانقلاب على الحكم الشرعي والسيطرة على جيش البلاد والمؤسسات الأمنية.

جرت خطة «تغيير فكر المجموعة الشيعية ضيقة العدد، ونقلها للاعتقاد بالإثني عشرية وبولاية الفقيه، وتمكينها من تحقيق القدرة على خوض الحروب، باستغلال القرب المكاني وبتوفر كوادر شيعية عربية ممثلة في كوادر ميلشيا نصر الله، كما جرى استغلال طبيعة الحكم الفردي لصالح ..الخ.

وكل تلك النماذج –وغيرها كثير- تعيد طرح تجربة ميلشيا نصر الله، التي شكلت النموذج الأشد وضوحاً والأعلى خصوصية في مثل هذا السلوك الاستراتيجي.

نيجريا: وحزب الله الأفريقي

تقدم لنا سيرة ومسيرة التشيع في نيجيريا نموذجا واضحا لفكرة وحالة النشاط الإيراني وصولا إلى عسكرة التشيع في بلد معين، فقد بدأت حركة التشيع لأول مرة في ثمانينيات القرن الماضي، عبر إبراهيم الزكزاكي، الذى ظل يعمل دون إعلان تشيعه لنحو ١٥ عاما، تمكن خلالها - بدعم من الحرس الثوري الإيراني ومن ميلشيا نصر الله– من تشكيل عشرات الهيئات وعلى رأسها المنظمة الإسلامية التي صار لها مراكز ثقافية وتجارية وحسينيات ومستشفيات ومدارس، قامت بدورها بدفع عناصر مختارة إلى إيران، تحت عنوان الدراسة في المعاهد والجامعات الإيرانية، وفي عام ١٩٩٥ بدا أن الأمور قد استقرت وصار ممكنا العمل وفق إعلان شيعي واضح، فأعلن الزكزاكي تشيعه، وهو ما أدى لحدوث انقسام كبير في المنظمة.

كانت تلك هي بداية المرحلة الجديدة من نشاط التشيع، أو كانت بداية الإعلان عن عسكرة التشيع، وهنا حدث الصدام مع الجيش النيجيري ووقعت الاشتباكات التي أدت لمقتل العديد منهم، وانتهت باعتقال الزكزاكي.

ومن تابع مقاطع احتفالات جماعة الزكزاكي يجد بوضوح الطابع العسكري للاحتفال من خلال المراسم التي تتم فيها ومن خلال الملابس شبه العسكرية التي تبدأ بها تحت ستار فتيان الكشافة والجوالة، وهو نفس الأمر الذي يلاحظ على احتفالات الحوثيين في البداية، ثم ظهرت الاستعراضات العسكرية على طريقة حزب الله اللبناني في مراسم دفن جثة حسين الحوثي قبل سنتين.

هذا النموذج، يطرح أبعادا عميقة في خطة التمدد الإيراني، بقدر ما يطرح ضرورات إدراك الجميع بأن لا دولة آمنة من وصول ظاهرة التشيع العسكري أو عسكرة التشيع في داخلها.

كما تكشف تلك التجربة عن فكرة اعتماد إيران لنشاطها في دولة لتكون دولة أساس ومحور في نشر التشيع وعسكرته في إقليمها بل في آفاق بعيدة، ولعل هذا ما جعل كتابا وإعلاميين يطلقون مصطلح «حزب الله النيجيري» على حركة الزكزاكي باعتبار الأخير شكل قاعدة أساس للانتشار في أفريقيا، مثلما شكلت مليشيا نصر الله قاعدة أساس في نشر التشيع وعسكرته في البلاد العربية بل في نيجيريا ذاتها.

صالحي يكشف عن تفاصيل جديدة حول الاتصالات السرية بين أمريكا وإيران

محمد علي شعباني- محرر قسم نبض إيران بموقع المونيتور
ترجمة محمد ناصر - خاص بالراصد

خلال العامين الماضيين كان لموقع «المونيتور» الإلكتروني قصب السبق بإثارة قضية المفاوضات السرية بين أمريكا وإيران بوساطة عُمانية، وحسب ما أفادت به مصادر أمريكية تحدثت إلى «المونيتور» أن هذه الاتصالات بدأت عامي ٢٠١١ و٢٠١٢ عندما قام كل من بونيت تالوار- مدير عام مجلس الأمن القومي للخليج العربي آنذاك- ، وجيك سوليفان - نائب رئيس طاقم وزيرة الخارجية الأميريكية هيلاري كلينتون - بالمشاركة في الاجتماعات الأولية التحضيرية مع الإيرانيين والتي حظيت بدعم من عُمان لبحث آفاق الاتصال الثنائي والذي بادر به من الجانب الأمريكي ويليام بيرنز. ومن ثم عقدت هذه المحادثات رفيعة المستوى في مارس ٢٠١٣، أي قبل ثلاثة أشهر من انتخاب الرئيس الايراني حسن روحاني.

وقد قامت مجلة «الدبلوماسية» أو«دبلومات» للسياسة الخارجية الإيرانية مؤخراً بنشر مقابلة استغرقت ثلاث ساعات مع علي أكبر صالحي الذي شغل منصب وزير الخارجية من ديسمبر ٢٠١٠ حتى أغسطس ٢٠١٣، والجدير بالذكر أن صالحي يحمل لقب نائب الرئيس، وكذلك يرأس منظمة الطاقة الذرية الإيرانية، وهو عالم بالفيزياء النووية، حيث تخرج من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وكان له دور محوري في تأمين خطة عمل ١٤ يوليو الشاملة المشتركة ملتقيا في المسار التقني مع نظيره ايرنيست مونيز.

وقد حصلت المونيتور على نسخة كاملة طبق الأصل من المقابلة مع صالحي والتي تتضمن تفاصيل غير معروفة حتى الآن حول الاتصالات الأمريكية الإيرانية السرية حول الملف النووي وكيف تم البدء بها.

وحسب ما قاله صالحي، فإن إيران أدركت أولاً رغبة أمريكا في عقد اجتماع ثنائي منتصف عام ١٣٩٠ بالتقويم الشمسي الإيراني، الموافق أواخر صيف ٢٠١١م، وقال إن حسن غشغاوي - الذي أصبح فيما بعد ولا زال نائب وزير الخارجية للشؤون القنصلية والبرلمانية والمسؤول عن متابعة أحوال المسجونين الإيرانيين في الخارج- قد قام بزيارة إلى عُمان، بخصوص قضية السفير الإيراني السابق «نصرة الله طاجك» المعتقل في بريطانيا منذ عام ٢٠٠٦، حيث قال: «بدعم وتعاون من الحكومة العمانية وخصوصا السلطان، فإننا نستطيع أن نحرر سجناءنا في الخارج». الجدير بالذكر أن إيران أطلقت - بوساطة عمانية- سراح أمريكيين في ٢١ أيلول من عام ٢٠١١ كانت قد اعتقلتهما عام ٢٠٠٩.

وفي هذا السياق، قال صالحي: «إن شخصا عمانيا يدعى السيد سالم قام بإخبار أحد أعضاء بعثة غشغاوي أن أمريكا تود عقد مفاوضات ثنائية فيما يخص الملف النووي.

وقال صالحي إن من نقل هذا المقترح (الرغبة الأمريكية) ليس مذكرة عمانية إنما هو السيد سالم - الذي وصفته مجلة «الدبلوماسية» بأنه مستشار السلطان قابوس، سلطان عمان - حيث نقله شفهيا.

وأضاف صالحي «كانت السيدة كلينتون وزيرة للخارجية، وكان السيد كيري رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ»، لكن آنذاك كانت ولاية السيد أوباما الأولى في نهايتها، فلم نأخذ تلك الرسالة بجدية، قائلين إن من غير الواضح معرفة ما إذا كانت هذه الرسالة صادرة من البيت الأبيض أو من وزارة الخارجية»، ...» وأن عُمان قالت إن الرسالة صادرة من أمريكا»... ولم نأخذ ذلك بجدية، ومن أسباب ذلك هو أن المفاوضات مع أمريكا آنذاك كانت أمراً غير مقبول أو منطقي.

وأضاف موضحاً: «أولا كنا نتساءل عمّن

بمقـدوره التفـاوض مـع الأمـريكيين منـا نحـن الإيـرانيين؟ ثانيـاً: «نحـن لم نكـن نعلـم يقينـاً فيمـا لـو كانـت هـذه الرسـالة قـد صـدرت حقـا مـن الحكومـة الأمريكيـة أو مـن عُمـان أو إن الشخـصية العمانيـة (السيد سالم) أثارها وعرضها بنفسه.

وفي تطـور مفـاجئ آخـر، صـرح صـالحي عـن ضلوع مـسؤول إيرانـي كـبير في إنشاء تلـك الاتـصالات الـسرية قـائلاً: «قبـل أسـابيع قـام الـسيد محمـد سـوري الـذي كـان آنـذاك مـدير شـركة النـاقلات الوطنيـة الإيرانيـة بالتنقـل بـين إيـران وعُمـان لعقـد صـفقة تجاريـة، .. وفي ذلـك الوقـت كـان الـسيد سـوري علـى اتـصال بالـسيد سـالم الـذي قـال: الأمريكيـون مهتمون بهذه الاتصالات فلماذ لا تستجيب إيران لها؟

ونقـلاً عـن الـسيد سـوري فقـد أعلـن الـسيد سـالم أنـه إذا كانـت إيـران مـستعدة لهـذه الاتـصالات فـإن عُمـان مـستعدة أن تكـون راعيـة لهـا، وأكـد صـالحي أن هـذه كانـت اللحظة التي فهمَت فيهـا إيـران أن ذلـك الطلب الأمريكي كان جاداً.

كمـا وضـح صـالحي الـدور المحـوري - كمـا يبـدو- لمـدير شـركة النـاقلات الوطنيـة الإيرانيـة في انطـلاق دبلوماسـية تلـك الاتـصالات الـسرية قـائلا: «بعـد ذلـك، قـال الـسيد سـوري إنـه ذاهـب إلى عُمـان لـيعلمهم إذا كنـا نريـد الإدلاء بـأي قـول، وأخبرتـه قـائلا: «يـا سـيد سـوري، لـسنا متأكـدين مـن هـذه العمليـة، لكـن إذا كــان الأمريكيــون جــادين حقــا في إجــراء مفاوضـات، فـإن طلباتنـا هـي الآتيـة، وكتبـت أربعـة طلبات بخط يدي.

الأول: وجـوب الاعـتراف بحـق إيـران في تخـصيب اليورانيـوم، في حـين أن بقيـة الثلاثـة كـانوا بخـصوص رفـع العقوبـات ومـا إلى ذلـك، فكلـها كانـت مرتبطـة بـالملف النـووي. وقلـت: «إذا كـانوا مـستعدين لأخـذ هـذه المطالب بالحسبان فنحن جاهزون أيضا».

ثانيـاً: نريـد مـن أمريكـا أن تبـدي اسـتعدادها رسميـا لـذلك، وأن «ملحوظـة مكتوبـة بخـط اليـد أو تقريـر شـفهي مـن أحـد مـسؤولي عُمـان لا يعـد ذلـك رسميـا»، وكتـب الـسيد سـوري طلـبي علـى شـكل طلبـات مـن ممثـل الجمهوريـة الإسـلامية الإيرانيـة.

وأعطيـت الرسـالة للـسيد سـالم، بالنـسبة لـصالحي كـان طلبـه بالحـصول علـى المقـترح الأمريكـي مكتوبا من أجل إضفاء طابع الرسمية.

فأرسـل سـلطان عمـان رسـالة إلى المرشـد الإيرانـي الأعلـى آيـة اللّه خـامنئي قـائلا: «إنـه أصـبح مـن الواضـح أن الأمـريكيين يرغبـون في إجـراء حـوار جـاد...» وبعـد اسـتلام الرسـالة، تواصـلت مـع مكتـب المرشـد الأعلـى الـسيد (أصـغر مـير حيجـازي) لإبلاغـه أن الرسـالة موجـودة وجـاهزة، وبخـصوص كيفيـة توصيلها، وقـال الـسيد حيجـازي إنـه سـيُعلمني بـذلك، وتواصـل معـي بعـدها وأخبرنـي بوجـوب تـسليمها إلى الـسيد علـى أكـبر ولايـتي، فـسلمتها للـسيد ولايـتي الـذي سـلمها للمرشـد الأعلـى، وأضـاف صـالحي أن الـسيد سـوري قـد نقـل مـن العمـانيين أن الأمـريكيين مستعدون لسماع الرد على الرسالة.

علـى حـد قـول صـالحي، فـإن الرسـالة قـد أرسـلت مـن الـسلطان في خريـف ٢٠١١ وحتـى نهايـة ١٣٩٠ مـن التقـويم الشمـسي الإيرانـي، الـذي يـصادف أيلـول ٢٠١١ حتـى مـارس ٢٠١٢، وكـان الـسيد سـوري يتنقـل بـين إيران وعُمان وأصبح مرسالا.

وأشـار صـالحي إلى أنـه لم يخـبر أحـدا بخـصوص الرسـالة بمـن فـيهم الـرئيس محمـود أحمـدي نجـاد، بحجـة «أن القـضية ليـست جديّـة وأنـه لا شـيء مهمـا لإخبـار الـرئيس بـه، وأن عليـه التأكـد مـن جديـة القـضية أولا ثـم إخبـار الـرئيس، وقـال أيـضاً: «إن في ذلـك الوقـت لم يـصدر أي إذن أو تفـويض لإجـراء مفاوضـات مـع الأمـريكيين، وأن إطـار العمـل للـدول ٥+١ الـذي كـان يتـضمن منـدوبا أمريكيـا لم يكن إطارا ثنائيا.

وعلـى أي حـال فقـد أشـار صـالحي إلى صـدور إذن بتواصـل مباشـر رغـم أنـه كـان بخـصوص نفـس القـضية الإقليميـة تلـك بـالعودة إلى عـام ٢٠٠٧، وأضـاف قـائلا: «إن مـسؤولين عـراقيين طلبـوا مـن إيـران حـل مـشاكل ارتفعـت وتيرتهـا في العـراق، وطلبـوا منـا التفـاوض مـع الأمـريكيين، وأعطـى (خـامنئي) إذنـا خاصـا بخـصوص المفاوضـات في العـراق، وتـولى سـفيرنا في بغـداد (الـسيد حـسن

كاظمي القمي) المفاوضات التي لم تسفر عن نتيجة.

والجدير بالذكر، أن صالحي نقل محادثته مع خامنئي بخصوص رسالة السلطان العماني والمنطق الذي اتبعه في إقناع المرشد الأعلى بالسماح بوجود اتصال مباشر مع الأمريكيين، فقال صالحي: «أخبرت المرشد الأعلى أننا خضنا مفاوضات ٥+١ دون الوصول إلى نتيجة، مع الأخذ بعين الاعتبار أن ذلك كان لعدة سنوات. والآن، ومع إدراك أن عُمان أبدت استعدادها وثبتت أهليتها لأن تكون وسيطة، فإن ذلك يجعلنا نخطو نحو إجراء مفاوضات ثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية، ومن جهة أخرى أشار المرشد الأعلى من خلال تاريخ الأمريكيين أن أمريكا ليست أهلا للثقة، فرغم أننا قمنا بإتمامها (أي الاتصالات المباشرة) عدة مرات، إلا أن مسؤوليهم لم يوفوا بعهودهم، فمن السهل عليهم أن يتخذوا قرارات خلافا لها».

كما قال صالحي إنه ناقش خامنئي في هذه النقطة قائلا: «سواء وصلنا إلى اتفاق (في المفاوضات) أم لم نصل، فالنتيجة أن وضعنا لن يتغير، وسنعلم حينها أن السلطات الإيرانية اتخذت كل التدابير من أجل اتفاق سلمي، كما سيعلم الناس أن هذه السلطات كانت جاهزة للمفاوضات غير أن الأمريكيين رفضوا».

وتابع قائلا: «أتى رد خامنئي أنه غير رافض للمفاوضات الثنائية مع الأمريكيين، لكنه لم يمنح إذنا بذلك أبدا، وفقا لما قاله صالحي، فإن المرشد الأعلى وضع أربعة شروط لإجراء اتصالات مباشرة مع أمريكا: «أولاً يجب أن تجري المفاوضات بمستوى دون وزراء الخارجية، أي إن وزيري الخارجية لكلا البلدين يجب ألاّ يلتقيا، وأن لا تكون المفاوضات من أجل المفاوضات، وأن المفاوضات يجب أن تقتصر على الملف النووي فقط دون أي شيء آخر كالعلاقات السياسية وما إلى ذلك».

وبعد أن أظهر صالحي تردداً في ذكر الشرط الرابع، وصفه أنه «شرط يخص الشأن الإداري للمفاوضات». ومن الواضح أن ما سبق ذكره عن ترؤس نائب وزير الخارجية (علي أصغر خاجي) - السفير الإيراني في الصين حاليا- للبعثة الإيرانية المفاوضة، يتوافق مع شرط الخامنئي حول وجوب إجراء المفاوضات تحت مستوى وزير الخارجية، كما أوضح صالحي أن بقية الوفد سافر إلى عُمان.

وقام رضا ضبيب - الذي يشغل منصب السفير في قبرص حاليا- بمرافقة خاجي عندما كان يشغل منصب مدير عام ديوان وزارة الخارجية الإيرانية لأمريكا الشمالية.

وعلاوة على ذلك، فقد كشف صالحي أن (محسن باحرفرد) - الذي يشغل حاليا منصب نائب الأمين العام للمنظمة الاستشارية القانونية الآسيوية الأفريقية في الهند- اجتمع بالأمريكيين عندما كان يشغل منصب نائب المدير العام لدول أمريكا اللاتينية في وزارة الخارجية الإيرانية.

كما نقل صالحي أن الجانب الأمريكي منذ أول لقاء «كان غير مصدق لجديتنا للدرجة التي دفعتهم إلى قول إننا غير جاهزين للمفاوضات، حينها رد ممثلونا قائلين: إذن ما قيل عنكم أنكم غير موضع ثقة كان صحيحاً!» بل كان ذلك واضحا من خلال الجلسة الأولى وإطار العمل وخارطة الطريق.

ووفقا لصالحي، فقد انعقد الاجتماع الأول «في نهاية ربيع عام ١٣٩١ من التقويم الإيراني، أي بعد إصدار المرشد الأعلى إذن الاتصالات المباشرة بأربعة إلى خمسة أشهر»، الموافق لتاريخ الاجتماع المعلن عنه في عُمان وهو ٧ يوليو ٢٠١٢. وحضره كل من سوليفان والوار بدون بيرنز. وتبعا لهذا الجدول الزمني، أصدر المرشد الأعلى إذنا رسميا لإجراء محادثات ثنائية مع الولايات المتحدة الأمريكية في مطلع عام ٢٠١٢ أي قبل حوالي ١٨ شهرا من انتخاب روحاني.

حركة التصوف في الخليج العربي
دراسة تحليلية نقدية

عرض ونقد أسامة شحادة(❖)– خاص بالراصد

هذا الكتاب في الأصل رسالة الدكتوراه للشيخ عبد العزيز بن أحمد البداح، ثم أضاف عليها العديد من الإضافات، وقد طبعت سنة ١٤٣٦هـ وتقع في ٨٦٠ صفحة، وكان سبق للدكتور البداح أن نشر رسالته الثانية في الدكتوراه عن حركة التشيع في الخليج العربي، وبذلك يكون قد جمع بين أهم فرقتين معاصرتين في الخليج.

يمكن أن نعد كتابه عن التصوف في الخليج كموسوعة شاملة لإنتاج الصوفية الخليجيين المعاصرين –ويقصد بهم مَن سكن الخليج ولو لم يحمل جنسيتها- وتصنيفها على المواضيع الصوفية.

وبذلك يخرج القارئ للكتاب بمعرفة شاملة للتصوف بذاته ثم موافقة الصوفية في الخليج لهذا التصوف القديم والمنتشر بكل مكان، ولذلك تضخم الكتاب لهذا الحجم.

في هذا الاستعراض سأتوقف مع أهم المحطات التي تتعلق بصوفية الخليج دون التصوف بذاته حتى لا يتشعب بنا الكلام:

تناول المؤلف ظهور التصوف في الخليج من خلال رصد مظاهره المتمثلة في إقامة الموالد وتشييد الأضرحة في دول الخليج باستثناء اليمن لوجود رسالة علمية خاصة بالتصوف باليمن لأمين السعدي، ويخلص المؤلف بعد استعراض هذه المظاهر أنها دخيلة حديثة ووجدت في عهد تبعية الخليج للدولة العثمانية التي شجعت التصوف وتبنّته، ويعزز رأيه هذا أن ابن

(❖) كاتب أردني.

بطوطة لم يشر في كتاب رحلته لمثل هذه المظاهر بأدنى إشارة.

أما عن أسباب وفود التصوف على الخليج فذكر المؤلف عدة أسباب، هي:

- تأثر الخليج بدايةً بمدارس التصوف بالهند والترك، والشام ومصر والعراق وحضرموت، من خلال بعض الشخصيات الصوفية التي جاءت للخليج إما بسبب المجاورة في مكة والمدينة عقب الحج، أو باستقدام بعض الأمراء لبعض العلماء من خارج الخليج وبعضهم صوفية، أو بسبب مجيء شيخ صوفي بحثاً عن العمل، أو رحلات دعوية لبعض الصوفية على البوادي، أو بسبب هجرات من إيران للخليج نقلت التصوف الفارسي إليه، وقد فصل المؤلف في رجال التصوف من كل بلد الذين جاؤوا للخليج باستعراض كتب التراجم والطبقات وكتب التاريخ.
- تزايد ورود الصوفية للخليج عقب نهضته الاقتصادية وتصاعد ذلك مع السنين، حيث شهد الخليج استقرار بعض زعماء التصوف المعاصر، فتنوعت مدارس ومذاهب الصوفية في الخليج.
- من أسباب وفود التصوف للخليج، استقدام الجامعات الخليجية لبعض الشخصيات الصوفية للتدريس بها، مما نشر الصوفية بين شباب الخليج.
- من أسباب تمكن التصوف بالخليج ترحيب الليبراليين بالصوفية والصوفيين في وجهه أهل السنة وعلمائهم لتمرير مخططاتهم العلمانية.
- وجود شخصيات خليجية ذات نفوذ سياسي أو مالي صوفية أو متعاطفة مع التصوف ما ساعد الصوفية على النفوذ والاختراق للصحافة والإعلام والتعليم، وقد أفرد المؤلف مبحثا لمحمد علوي المالكي كمثال على ذلك.

ويرى المؤلف أن التصوف مرّ بمرحلتين، مرحلة ضعف عقب قيام الدولة السعودية الثالثة قبل ١٠٠ عام حيث انتشر التوحيد والسنة وقمع الشرك والبدعة، ولذلك ضعف التصوف واندثرت كثير من الطرق الصوفية في الخليج، حيث انتشرت الدعوة السلفية في المملكة العربية السعودية وانتقل عدد من علماء التوحيد للبلاد المجاورة، ودرس الكثير من طلبة دول الخليج في جامعات المملكة فضلاً عن دور المؤسسات الدعوية بالمملكة في نشر التوحيد والسنة.

لكن منذ عشرين عاما تقريباً لوحظ عودة نشاط التصوف في الخليج ومن مظاهر ذلك:

١- قيام دور نشر تعنى بطباعة ونشر الكتاب الصوفي في جدة ومكة والكويت والإمارات.

٢- ظهور شخصيات صوفية نشيطة تشارك في الصحافة والفضائيات.

٣- صدور عدد من المؤلفات التي تدافع عن التصوف وتدعو للموالد والبدع.

٤- عودة إقامة الموالد والحضرات، والتي تنقلها بعض الفضائيات.

٥- تأسيس مواقع الكترونية خليجية تمجد التصوف.

٦- إعادة نشر التراث الصوفي.

أما الطرق الصوفية الموجودة اليوم في الخليج فهي: القادرية، النقشبندية، الميرغنية، العلوية، الخلوتية، الأحمدية، السنوسية، السمانية، الشاذلية، الرفاعية، القادرية، وهذه الطرق تختلف في الأذكار والأوراد، لكن عقائدها مشتركة في الجملة، وهناك تعاون بين قادة ورموز هذه الطرق، ولعل السبب في ذلك قلتهم وضعفهم، فيحتاجون للاجتماع حتى يتمكنوا من تجاوز أهل السنة.

والباعث على إحياء التصوف في الخليج في نظر المؤلف هو البحث عن الزعامة والمكانة والمحافظة على نفوذ موروث، ولذلك يميل الصوفية خاصة في الحجاز لقبول فكرة التقسيم والمناطقية التي هي مخطط غربي قديم لتفتيت الوحدة الإسلامية التي قامت عليها الدولة السعودية حيث أن دعوة التوحيد قامت بتوحيد هذه المنطقة الواسعة.

بينما الغرب اليوم يعلن نيّته تفتيت المملكة لعدة إمارات كبقية دول الخليج! وهو مطلب لشيعة السعودية انسياقاً خلف مطامع إيران ويوافقهم عليه صوفية الحجاز كما يظهر ذلك في صفحات مجلتهم (الحجاز) التي تصدر في لندن عمّا يسمى الحركة الوطنية! وهو ما طرحته «مي أحمد زكي يماني» ابنة أحد أبرز الشخصيات الحجازية الصوفية وكان سابقاً وزيراً للبترول!

ويخلص المؤلف إلى أن التصوف في الخليج ليس تجمعا مذهبيا فحسب، بل هو تجمع سياسي اتخذ من التصوف ستارا، ولهذا التجمع السياسي أهدافه ومنطلقاته وارتباطاته الداخلية والخارجية.

وحول الخطاب الصوفي الخليجي المعاصر منابره وآلياته، بيّن المؤلف أن قناة (إقرأ) تعد أهم هذه المنابر وأقدمها، وعدّد بعض البرامج الصوفية التي قدمت على عدد من الفضائيات مثل: العربية، الحياة المصرية، الكويتية، الرسالة، وقنوات مصرية تستضيف علي الجفري وغيرها.

واستعرض المؤلف المواقع الالكترونية ودور النشر والمجلات والمدارس والمعاهد والمجالس الصوفية التي نشطت مؤخرا حيث رصد كُتابها والمواضيع الصوفية التي اهتمت بها وأبرزتها.

ونبّه على حرص التصوف على اختراق المؤسسات الدينية والتقرب من القادة والحكام وضرب المثال بدبي حيث النشاط المكثف للصوفية هناك بقيادة علي الجفري ومؤسسته (طابة) التي أسسها في أبو ظبي.

لم يفت المؤلف رصد الهجوم الصوفي على أهل السنة واتهامهم بالجهل والتشدد ظلماً وعدواناً، وإنما استجابة لمخططات دولية تعلن عن صلاحية التصوف في خدمة مشروع الإسلام العلماني المدني، وختم كتابه باستعراض جهود علماء السنة في الرد على البدع والضلالات التي يروجها الصوفية.

ونقل المؤلف نماذج من أقوال صوفية الخليج التي توافق عقائد وضلالات التصوف نقتطف هذه المقولات، لتأكيد أن التصوف في الخليج لم يتجنب المزالق التي حذر منها العلماء والتي تخالف صريح القرآن والسنة:

- يقول محمد علوي المالكي أن الله جمع لنبيه الحكم بالظاهر والباطن معاً، وأنه أوتي علم كل شيء حتى الروح والخمس المغيبات.
- يقول علي الجفري أن الصالحين وفقراء الصوفية يعرفون متى حلول الآجل، وأنهم يتصرفون في الكون.
- قال أحد الصوفية بمولد في المدينة النبوية، إن روح النبي صلى الله عليه وسلم واتحدت مع روح البوصيري.
- يمارس بعض صوفية الخليج طقوس ضرب الشيش ودخول النار على غرار طقوس الهندوس وغيرهم من المشعوذين.

وفي النهاية فإن الكتاب حوى الكثير الكثير من النقولات عن صوفية الخليج اليوم والتي تبين التطابق مع التصوف القديم المعروف.





تداركوا الخلل

قــالوا: حملة إعلام السعودية لتفسير الأحكام الأخيرة تتمدد في الفضاء الخطأ، الفراغ المطلوب ملؤه في لندن وواشنطن وباريس وليس في الرياض والدمام وجدة!

تغريدة لجمال سلطان على تويتر

واجب الوقت فعلاً

قــالوا: في خضم الأحداث التي تمر بها الأمة يستغل بعض أهل الأهواء الموقف لبث أفكاره، فواجب الوقت الثقة التامة بالكتاب والسنة.

د. علي عجين على صفحته بالفيس بوك

زمن الشقلبة

قــالوا: مسموح لإيران محرّم علينا أن نشكل فصائل عقدية ومليشيات عقدية وقنوات عقدية وخطاب كراهية عقدي وتحريض على القتل عقدي وتكفير عقدي ودستور عقدي.

أنور الخضري على صفحته على الفيس بوك

حصنوا الجيل بالتوحيد

قــالوا: التخطيط الاستراتيجي والضربات الاستباقية لا تكفي إذا لم ننشر فكرنا ومبادءنا ونغرسها في الأجيال، حربنا مع أعدائنا فكرية ولن ننتصر بدون فكر وعقيدة.

د. ناصر الحنيني

على صفحته بالفيس بوك

أخبث من اليهود

قــالوا: حصار إسرائيل اليهودية على غزة لا يشمل المواد الغذائية، لكن حصار مضايا والفلوجة يشمل كل شيء، هذا هو الفرق بين اليهود وهؤلاء. إنها الحقيقة التي لا يريد الكثير أن يسمعها.

إياد القيسي

على صفحته على الفيس بوك

هل أصلحنا الخلل؟

قــالوا: طوال العقد السابق غيب الإعلام الليبرالي الوعي الشعبي عن الخطر الإيراني، اعتبر نقد الشيعة طائفية، وأشغل المجتمع بالحرب على المحتسبين والفتاوى.

إبراهيم السكران،

تغريدة على تويتر

ولن تجد

قــالوا: ائتوني بمقال أو تصريح أو تعليق سدنة الخطاب الشيعي عندنا كالصفار والسيف وغيرهما ضد هجوم إيران على بلادنا بعد إعدام نمر النمر.

عبدالله زقيل،

تغريدة على تويتر

تفريخ الخلايا الإرهابية

قالوا: سنويا حوالى ١٧ ألف طالب وطالبة من آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط يدخلون الحوزات الدينية في إيران.

ديلي تلغراف
٢٠١٥/١٢/٢٩

هل فهموا اليوم فعلاً؟

قالوا: هل كان يلزم سفك كل هذه الدماء وخراب كل تلك الدول السنية حتى يقرأ ويفهم ممثلو الشعوب العربية بكافة توجهاتهم القومية والدينية الرسالة التي وجهها لهم الخميني حينما ذهبوا لتهنئته بالثورة عام ١٩٧٩، فردّ على تهنئتهم بالفارسية بواسطة مترجم رغم أنه يجيد العربية تصغيرا وتحقيرا لهم، وطلب منهم بكل وقاحة ووضوح ترك مذهبهم السني وتبني المذهب الشيعي الإثني عشري والذي جعله دين الجمهورية الإسلامية الإيرانية وإلى الأبد، حسب نصوص الدستور الذي أهداه لهم؟!

يوسف حمد الصقر
على صفحته بالفيس بوك

فيلم داعش الجديد

قالوا: هذه المرة ستكون وجهة «داعش» شمال أفريقيا، وهناك ستكون ساحة الصراع القادمة، ومع أن مصر ليست بعافيتها كما كانت إلا أنها ليست المنطقة التي سيتوجه التنظيم إليها، فقد حاول التنظيم ولم يفلح بسبب وجود الجيش المصري، وهو بحاجة إلى منطقة رخوة يعمل فيها، لذا أفضل مكان يعمل فيه التنظيم هي أجزاء من ليبيا وأخرى من تونس لتكون تونس وليبيا ساحة العرض الثالث لفيلم «داعش» ولهذا أسباب ومقومات، أهم هذه الأسباب وأكبرها مصالح الغرب في كلا البلدين التي لم يتم تقاسمها بعد، أما المقومات فهي كثيرة أهمها أن «داعش» يحتاج إلى دول ضعيفة رخوة، وليبيا اليوم تعد أرضاً خصبة لها، أما تونس فمع أن وضعها لا يقارن بليبيا إلا أنها ليست قوية داخلياً بالقدر الكافي وهي رخوة أيضاً، يضاف لذلك أن أكبر عدد من المهاجرين داخل التنظيم في سوريا والعراق هم من تونس وهم أعلم بأرضهم، كذلك فإن طبيعة الجغرافية في ليبيا وتونس تساعد على انتقال التنظيم إلى هناك، ومن إرهاصات هذا الأمر هو وجود إيران هناك ومحاولتها توسعة وجودها، وأي منطقة يراد لها أن تخترق تجد إيران قد سبقت إليها ليأتي بعد ذلك «داعش» ويبدأ العرض.

د. فراس الزوبعي،
الوطن البحرينية ٢٠١٦/١/٦

العقيدة الشيعية هي المحركة للسياسة

قالوا: هناك عقائد شيعية تحرك كل هذا، هناك عقيدة الإمام المغيب، الذي يوشك أن يرجع حسب نظرياتهم، وهم يهيئون له من القتل والفوضى والميليشيات، ما يليق باستقباله استقبالا دمويا للأسف، وهذه عقلية خرافية جاهلة هي التي تحرك السياسة الإيرانية، هي التي تحرك الجيوش الإيرانية في المنطقة، وهي التي تحرك الحرس الثوري، الذي يتحرك بضباطه وأحيانا بميليشياته استقبالا للمهدي للأسف، وكأن المهدي متعطش للدماء لكي يأتي.

تحرك إيران في العالم الإسلامي تحرك طائفي مذهبي خرافي، وليس تحركا سياسيا، فإيران تخسر سياسيا وتخسر اقتصاديا، لأجل دعم هذا التوجه.

د. أحمد الريسوني،
عربي ٢١، ٢٠١٦/١/٨



ما حقيقة علاقة داعش مع بشار الأسد

محمد زاهد جول–الخليج أون لاين ٢٠١٥/١٢/٩

مع تأزم العلاقات التركية الروسية إثر العدوان الروسي على تركيا وانتهاك أجوائها الجوية بتاريخ ٢٠١٥/١١/٢٤، ورد الفعل التركي الحاسم بإسقاط الطائرة الروسية سوخوي ٢٤، ومقتل أحد الطيارين الروس وجندي روسي آخر حاول مساعدة الطيار الآخر للنجاة، بدأت موجة التهم المتبادلة بين القيادة الروسية والتركية باتهام بعضهما بعضاً بالتعاون مع التنظيم الإرهابي «داعش»، في العراق والشام.

بدأت التهم من الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للقيادة التركية بأنها تشتري النفط من داعش من خلال السماح لناقلات النفط المرور بالأراضي التركية، وتسويقها عبر تجار نفط أتراك، من بينهم نجل الرئيس التركي بلال أردوغان، وقدمت وسائل الإعلام الروسية دليلاً مادياً موثقاً بالصور لابن أردوغان بلال وهو يجلس في أحد المطاعم التركية مع من وصفهم التقرير الروسي بقادة من داعش.

هذا الاتهام أثار حفيظة الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، لأن هذه الاتهامات طالت عائلة أردوغان شخصياً، وكأن الإعلام الروسي يريد تشويه شخص الرئيس أردوغان وعائلته أمام الشعب التركي، مما دفع الحكومة التركية إلى التحقيق في الأمر، فتبين لها أن التهم الموجهة لبلال أردوغان ملفقة، وأن الأشخاص الذين ظهروا بالصور مع بلال أردوغان هم أصحاب مطعم تركي زاره بلال أردوغان في أحد الأيام، وتمنى أصحابه على ابن رئيس الجمهورية أن يأخذوا صورة تذكارية معه، وكان مما يميز أصحاب المطعم أنهم من أصحاب اللحى الطويلة والأجسام الكبيرة، فظنت المخابرات الروسية أنها وجدت ضالتها، فقدمت هذه الصور على أنها دليل إثبات على علاقة بلال أردوغان بأصحاب اللحى الطويلة والأجسام الكبيرة، مما يؤكد صلته بتنظيم داعش، لأن قادة داعش يتصفون باللحى الطويلة والأجسام الكبيرة، فكانت التهمة الروسية أضحوكة أمام الشعب التركي، وأمام العالم، وبدت المخابرات الروسية أنها فائقة في مكانتها المشهورة بالكذب والتزوير، الذي لم يعد له دور مهم مع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة.

الأكذوبة الأخرى كانت أكذوبة الناقلات التي تشتري النفط من داعش من العراق، وقد تكلفت الأقمار الصناعية الروسية كثيراً في إثبات هذه التهم، وقامت بتصوير حركة الناقلات وهي تعبر الحدود العراقية إلى تركيا، وصورت مستودعاتها وكراجاتها في العراق وفي تركيا، وبعد تحقيق الحكومة التركية بذلك تبين أن هذه الناقلات التي قامت الطائرات الروسية بضرب

بعضها، هي ناقلات تابعة لحكومة إقليم كردستان العراق، وأن هذه الناقلات تقوم بنقل نفط العراق من إقليم كردستان إلى تركيا وفق اتفاقيات دولية بين الحكومتين الكردستانية والتركية، وهو ما أكدته شركة النفط في الحكومة الكردستانية، فتبين بذلك أن المخابرات الروسية وقد أمرها بوتين بإثبات صلة بين داعش والحكومة التركية، وأكثر تحديداً مع القيادة التركية، اضطرت أن تختلق له الأكاذيب التي اعتاد جهاز المخابرات الروسي أيام الاتحاد السوفييتي تأليفها وتزويرها، ولم يتوقع رجل المخابرات السوفييتية لخمسة عشر عاماً، فلاديمير بوتين، أن يكون ضباط مخابراته من الغباء الفاحش، الذي يتم كشفه بسهولة تامة.

ومع ذلك لا تزال وسائل إعلامية تابعة لمحور إيران وروسيا يتناقلون هذه التهم وكأنها حقائق بعد انفضاح أمرها بشكل سافر ومضحك، في حين قام الرئيس التركي أردوغان، مضطراً، بتوجيه التهم لشخصيات معينة ذكرها بالاسم، منها جورج حسواني، السوري الأصل ويحمل الجنسية الروسية، بأنه أحد التجار الضالعين بشراء النفط من داعش وبيعه للنظام الأسدي وغيره، وطالب الرئيس الروسي بإجراء تحقيق في ذلك، وتحدى أردوغان الرئيس الروسي بوتين بإثبات التهم على قادة الدولة التركية أو عائلاتهم؛ وعندها فإنه سوف يستقيل من منصبه، لأنه سيكون قد أخل بمنصبه الرئاسي لو أثبت بوتين ذلك، وفي المقابل طالب أردوغان الرئيس الروسي أن ينفي عن تجار بلاده تعاونهم وشراءهم للنفط من داعش، وإلا فهل يستقيل من منصبه، إذا عجز عن نفي ذلك؟

إن هذا التحدي التركي ثابت على التجار الروس الذين ينشطون في الأراضي السورية لكسب أرباح هائلة من تجارة النفط مع داعش في سوريا والعراق، وهذا التحدي موجه لرجال بشار الأسد الذين يتعاونون مع تنظيم داعش، فنظام الأسد يتعاون مع تنظيم «داعش» الإرهابي في سوريا، في النفط والغاز والكهرباء، حيث إن تنظيم داعش يسيطر على مصادرها في سوريا، لكن مع ذلك لا يقطعها عن النظام، ويمده بأهم شرايين الحياة، وهذا التعاون لا يتم إلا باتفاق سري بينهما.

لقد أشارت بيانات البنك الدولي إلى ضرورة أن تكون أنابيب الغاز صالحة في سوريا، لأن أكثر من نصف الطاقة الكهربائية للنظام الأسدي تعتمد على الغاز، وهذه الأنابيب تحت سيطرة تنظيم داعش، ولو أرادت تدميرها لفعلت، ولو فعلت فإنها سوف تضرب سلطة بشار الأسد في مقتل، ولكنها لا تفعل ذلك، وهذا دليل على أن تنظيم داعش معني بتوفير شروط الحياة لنظام بشار الأسد.

وقد رصدت وحدات التنصت في الاستخبارات التركية مكالمات هاتفية للجيش السوري، تؤكد وجود تعاون بين نظام الأسد و«داعش»، من أجل تخطي المشاكل التي يواجهونها في مجال التعاون في الموارد النفطية، وقد أثبتت هذه المكالمات وجود لقاءات واتصالات بين نظام بشار الأسد وقادة تنظيم داعش، وأنها تتباحث في مستجدات الأمور بينهم، وهذا الأمر ثبت حصوله قبل تفجيرات سوروج في تركيا قبل أشهر، فالمعلومات التي توفرت للمخابرات التركية تؤكد أن النظام الأسدي أرسل فريقاً تقنياً إلى محافظة دير الزور، وهي منطقة في شرق سوريا تحت سيطرة تنظيم داعش، خلال الأسبوع الماضي، بغية إصلاح أنبوب غاز في منطقة «المريعية» بريف المحافظة.

وبحسب المكالمة، التي رصدتها الاستخبارات التركية، أصدرت قيادة الجيش الأسدي أوامر إلى وحداتها العسكرية في منطقة سردا والجفرا القريبتين من مطار دير الزور العسكري، بعدم

إطلاق النار على فريق سيتوجه إلى مناطق خاضعة لسيطرة تنظيم داعش، بهدف إصلاح أنبوب غاز، وقد ورد في تلك الاتصالات أن رجال الأسد يخبرون عناصرهم بأن الفريق التقني القادم لإصلاح الأنبوب ليسوا سوريين، وهذا يرجح أنهم إما أن يكونوا إيرانيين أو من التقنيين الروس أو العراقيين أو غيرهم، وقد جاء في المكالمة أن الضابط الأسدي يحذر من إطلاق النار على الفريق التقني بحجة أن ذلك قد يؤدي إلى انقطاع التيار الكهربائي عن كل سوريا، وهذا يعني أن هذا الفريق قد يكون مقرباً لتنظيم داعش أيضاً، ومع ذلك فلا يسمح باستهدافهم، لأن عواقب ذلك انقطاع التيار الكهربائي عن كل سوريا، بما يعني أيضاً أن تنظيم داعش يملك أن يقطع التيار الكهربائي عن الأماكن التي تحت سيطرة بشار الأسد والبالغة ١٤٪ من الأراضي السورية.

هذه المعركة في التهم والإثباتات على من هو المدان بالتعاون مع التنظيم الإرهابي داعش، لم تتوقف بين تركيا وروسيا، فقد خاضت أمريكا هذا المضمار، وكانت وزارة الخزانة الأمريكية أدرجت أسماء أربعة أشخاص مدانين بالتجارة مع داعش، من بينهم مواطنون روس، وأدخلتهم ضمن «القائمة السوداء»، خلال الأسبوع الفائت، بعد ثبوت التهم عليهم بتقديمهم الدعم للنظام السوري وتوسّطهم في عملية شراء النفط من تنظيم داعش لحساب نظام بشار الأسد، وقد ورد اسم رجل الأعمال السوري المعروف، جورج حسواني، الذي يحمل الجنسية الروسية أيضاً، بين الأسماء الموجودة على القائمة السوداء الأمريكية، وهو ما يعني أن المخابرات الروسية تتخبط في التستر على علاقات بوتين في التعاون مع تنظيم داعش، بعد انفضاح أمره بعدم قصف مواقعهم في سوريا، على الرغم من أن ذريعته في التدخل العسكري في سوريا كانت محاربة تنظيم داعش، وحماية شعبه من شرهم، في حين ذكرت مصادر دولية أن من بين أربعة آلاف غارة روسية ضربت الأراضي والشعب السوري، كان نصيب مواقع تنظيم داعش منها حوالي التسعين مرة فقط، أي حوالي ٢٪ من الغارات التي تشنها روسيا على الشعب السوري.

هذه البيانات الدولية تؤكد تورط روسيا بوتين ومحوره الإيراني والعراقي والسوري بالتعاون مع تنظيم داعش الإرهابي، بل ومساهمته بتأسيس داعش على أيدي نوري المالكي رئيس الوزراء العراقي السابق؛ بتقديم مدينة الموصل وما فيها من أربع فرق عسكرية عراقية بكامل أسلحتها وأموالها وذخائرها، هدية لتنظيم داعش بتاريخ ١٠/٦/٢٠١٤، في لغز سيبقى الأذكياء والتاريخ حكماً عليه.

سجن الباستيل العراقي!

د. جاسم الشمري– الغد ٢٠١٥/١٢/١٥

الباستيل سجن فرنسي أُنشئ في العام ١٣٧٠، وكان مخصصاً لسجن المعارضين السياسيين والمحرضين ضد الدولة. وقد أصبح على مدار العهود رمزاً للطغيان والظلم، وانطلقت منه الشرارة الأولى للثورة الفرنسية في ١٤ تموز (يوليو) ١٧٨٩.

وفي ١٠ كانون الأول (ديسمبر) من كل عام، يحتفل المجتمع العالمي بيوم حقوق الإنسان، وهو اليوم الذي اعتمدت فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة في العام ١٩٤٨ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وحقوق الإنسان كلمة جامعة لكل معاني الكرامة والرقي الإنساني. وهذه الكلمة السامية تستحق من البشرية التضحية من أجلها لاستمرار حياتهم بكرامة وسعادة. لكن تلك

الحقوق صرنا نسمع بها في الكتابات والمؤتمرات والندوات، فيما هي مغيبة من الواقع في العديد من دول العالم.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان أكد في المادة الثانية منه على أن: «لكل إنسان حق التمتع بكافة الحقوق والحريات، دون تمييز بسبب العنصر أو الدين أو الرأي السياسي».

ولا شك أن مقارنة هذه الحقوق بالواقع العراقي اليوم، يجعلنا نجزم أن تلك الحقوق نُهبت ونُحرت تماماً كما دُمرت البلاد وخُربت.

حقوق الإنسان العراقي غابت في غالبية مرافق الحياة. وأظن أن الأحرار الطلقاء أقدر على التحكم بحياتهم من السجناء، الذين باتت سجونهم مشابهة لسجن الباستيل. وهذا الكلام ينطبق على سجون أبو غريب والناصرية والكاظمية وغيرها من أماكن الاعتقال التي يعاني فيها النزلاء من أبشع صور التعذيب والإذلال والتحقير.

سجن الناصرية المركزي؛ هذا المعتقل المخيف، ليس معتقلاً لقضاء الأحكام القضائية فحسب، لكنه مكان للتعذيب اليومي على يد المليشيات الإجرامية التي تدير هذا السجن المرعب.

في سجن الباستيل العراقي في الناصرية - الذي يقع في قلب صحراء المدينة- ترتكب أبشع أنواع الجرائم - الموثقة من مراكز حقوقية معتبرة- ومنها:

- التعذيب المستمر للسجناء. وتتنوع أساليب تعذيبهم بدءاً من التعذيب الجسدي، حتى المكابدة النفسية المتمثلة في الحرمان من النوم، والشتم والتهجم على الرموز الدينية والعشائرية.
- اغتصاب غالبية المعتقلين، وذلك في سياسة مدروسة تهدف إلى كسر معنوياتهم وازْدرائهم.
- اكتظاظ أعداد السجناء. إذ إن القدرة الاستيعابية للسجن هي ١٧٥٠ معتقلاً، بينما يتواجد فيه حالياً أكثر من سبعة آلاف معتقل، ما تسبب بانتشار الأمراض النفسية لقلة ساعات النوم والازدحام.
- ضعف الاهتمام العام بغذاء السجناء. فيعاني غالبيتهم من النُحُول وفقر الدم نتيجة لرداءة الحصة الغذائية المقدمة لهم، وشح المياه المستخدمة للشرب والاستحمام.
- الإهمال الصحي على الرغم من أن غالبية السجناء يعانون من الأمراض المزمنة، والعاهات والآلام التي لحقت بهم نتيجة التعذيب المستمر داخل السجن.
- التضييق في الزيارات الشخصية وعددها؛ إذ إن لكل معتقل زيارة واحدة شهرياً. وكذلك التشديد على ذوي السجناء أثناء الزيارات، مما زاد من معاناتهم المتمثلة في صعوبة الوصول لمدينة الناصرية الجنوبية، والإجراءات الإدارية المجحفة أثناء الزيارة.
- غياب الرقابة الحكومية والبرلمانية على إدارة السجن، ومنع زيارات النواب للسجن. وهذا ما أكده العديد منهم.

هذه الأسباب وغيرها جعلت غالبية السجناء يتمنون الموت بدلاً من حياة الذل والهوان والقهر التي تمارسها إدارة السجن بحقهم!

الحل الأمثل لكارثة السجون العراقية هو تنظيم زيارات شهرية من لجنتي الهلال الأحمر والصليب الأحمر الدوليتين، لضمان إيقاف التعذيب والتغييب، ورفع مستوى حقوق السجناء الذين وقعوا ضحية سياسات الظلم الطائفي والقانوني.

إن استمرار الاستخفاف بحقوق الإنسان سيجعل من السجون دوائر لزرع الحقد والكراهية بين المواطنين، وليست دوائر إصلاحية. وهذه الحال لا يمكن أن تجعل القطار العراقي يسير على السكة الصحيحة.

شيوع ثقافة حقوق الإنسان باتت من المطالب الجوهرية الواجب تعليمها للمسؤولين، ولجميع منتسبي الدوائر الأمنية التي صارت ملعباً للحاقدين على المواطنين بحجة تطبيق النظام ومكافحة الإرهاب!

صور التشابه بين الباستيل العراقي والفرنسي يمكن أن تجعل من سجن الناصرية الشرارة التي ستُنهي الظلم والظلام، بعد أن أصبحت البلاد عبارة عن معتقل كبير لكل من يعارض السياسات القمعية والمليشياوية في الوطن.

موقف تركيا من الأزمة السعودية الإيرانية

إسماعيل باشا- أخبار تركيا ٢٠١٦/١/٦

الأزمة التي تفجرت بين المملكة العربية السعودية وإيران بسبب إعدام رجل الدين الشيعي نمر باقر النمر تطورت بعد أحداث الاعتداء على سفارة السعودية في طهران وقنصليتها في مدينة مشهد، ودفعت السعودية إلى قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران، وأعلنت البحرين والسودان أيضا إنهاء علاقاتهما الدبلوماسية مع طهران تضامنا مع السعودية، فيما اكتفت الإمارات بتخفيض مستوى التمثيل الدبلوماسي مع إيران إلى مستوى قائم بالأعمال واستدعت الكويت سفيرها من طهران.

هذه الأزمة لو كانت قبل الربيع العربي والثورة السورية والدور القذر الذي لعبته إيران في سوريا من خلال دعمها القوي لجرائم النظام السوري لكان الشعب التركي يتعاطف بشكل كبير مع النظام الإيراني الذي نجح في اختراق المجتمعات الإسلامية، إلا أن الأغلبية في تركيا تستنكر اليوم رد الفعل الإيراني على إعدام النمر وتقول إن النظام الإيراني الذي قام بإعدام عشرات من العلماء والدعاة آخر من يحق له الحديث عن إدانة تنفيذ أحكام الإعدام السياسية، ولكنها ترى أيضا أن تركيا يجب أن تنأى بنفسها عن هذه الأزمة ولا تصطف مع أي طرف.

موقف الحكومة التركية من الأزمة جاء متوافقا مع الموقف الشعبي، وأعلنت وزارة الخارجية التركية في بيانها أن الاعتداء على البعثات الدبلوماسية السعودية في إيران أمر مرفوض، كما أعرب رئيس الوزراء التركي أحمد داود أوغلو عن إدانته الشديدة بالاعتداء على البعثات الدبلوماسية السعودية في طهران ومشهد، ثم دعا في كلمته أمام الكتلة البرلمانية لحزب العدالة والتنمية، السعودية وإيران إلى استخدام القنوات الدبلوماسية لتهدئة التوتر، مضيفا أن تركيا مستعدة لعرض أي مساعدة بناءة يمكن تقديمها من أجل التوصل إلى حل الأزمة.

نائب رئيس الوزراء والناطق باسم الحكومة التركية، نعمان قورطولموش، في مؤتمر صحفي عقده بعد اجتماع مجلس الوزراء، قال إن الاعتداء على البعثات الدبلوماسية أمر غير مقبول، ثم أضاف: «تنفيذ أحكام الإعدام السياسية لن يسهم بأي شكل من الأشكال في تحقيق السلام في المنطقة ونحن نرفض جميع أحكام الإعدام السياسية»، لافتا إلى أن تركيا قامت بإلغاء عقوبة الإعدام.

الأوساط المقربة من الحكومة التركية تؤكد أن تصريحات قورطولموش حول تنفيذ أحكام الإعدام السياسية تعبر عن موقف مبدئي، إلا أن هذا التبرير كان يمكن قبوله لو أنقرة سبق أن أدانت بإعدام إيران عشرات من علماء أهل السنة دون أن يكون لهم أي ذنب غير الدعوة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما أن قورطولموش نفسه حين قال «نرفض جميع

أحكام الإعدام السياسية» ضرب أمثلة لتلك الأحكام المرفوضة وذكر أحكام الإعدام الصادرة في مصر وأحكام الإعدام التي أصدرها صدام في العراق، ولكنه نسي أو تناسى أن يذكر أحكام الإعدام التي يصدرها النظام الإيراني وينفذها.

لا شك في أن الموقف التركي الرسمي من الأزمة السعودية الإيرانية الأخيرة كان صادما للمبالغين في التفاؤل بشأن التقارب التركي السعودي وكذلك لهؤلاء الذين ينظرون إلى العلاقات بين الدول بعقلية «الشجرة والأصل والجذع والأغصان والأوراق»، ولعل هذه الصدمة توقظهم من الأحلام الوردية التي يسبحون فيها.

تركيا دولة ذات سيادة واستقلالية تحدد مواقفها وفقا لمصالحها وإرادة شعبها، وتعبر عن تضامنها مع حلفائها بطرق وأساليب تتوافق مع ظروفها ومصالحها، بعيدا عن التهييج الإعلامي. ولا يعني التقارب بينها وبين السعودية أنها ستتبع الأخيرة حذو القذة بالقذة، بل يعني التنسيق والتعاون في إطار المصالح المشتركة، والتصدي للمخاطر والتحديات التي تهدد كلا البلدين، بخطوات يتفق عليها الجانبان التركي والسعودي. ولدراسة مثل هذه الخطوات وتحديدها، تم الإعلان خلال زيارة رئيس الجمهورية التركي رجب طيب أردوغان الأخيرة للعاصمة السعودية، عن اتفاق أنقرة والرياض على إنشاء مجلس تعاون استراتيجي.

أردوغان لم يعلق حتى الآن على الأزمة التي تفجرت بين السعودية وإيران بعد إعدام النمر. وقد تصدر منه تصريحات أكثر انحيازا للموقف السعودي، لأنه متحمس للتقارب مع الرياض، إلا أنه من غير المتوقع أن تبتعد تلك التصريحات كثيرا عن المزاج العام في تركيا.

ورطة إيران بين الإمام الصدر ونمر النمر

نديم قطيش – الشرق الأوسط ٢٠١٦/١/٨

تعاملت إيران وأدواتها في لبنان والعراق مع نمر باقر النمر، بوصفه جزءا من الجالية الإيرانية في العالم وليس مواطنا سعوديا خاضعا لدولة وطنية مستقلة هي المملكة العربية السعودية. فإيران من خلال ما يمكن تسميته «الوكالة الخمينية»، تبدو كالوكالة اليهودية سابقا، في حضها للشيعة في العالم للتعبير الحاد عن خصوصياتهم المذهبية، وإضعاف رابطهم الوطني في الدول التي يعيشون فيها. فالشيعي شيعي أولا، وربما أخيرا، في دولته والتشييع يعني إيران، باختصار حزبي مشوه. وحيث لا تنجح في استتباع الشيعة ككل، تجتهد الوكالة الخمينية لدعم فريق بين الشيعة يهيمن على الطائفة وقرارها وتوجهاتها كما هي الحال في لبنان، بشكل لا يبقي الكثير من المجال لشخصيات شيعية قد لا تتفق بالكامل مع برنامج حزب الله كمثل حال الرئيس نبيه بري.

غير أن هذه الصورة ليست الصورة الكاملة، فإيران مشروع ذو طبيعة مزدوجة: مذهبي شيعي وقومي فارسي.

صحيح أن إيران حولت المذهبية إلى دولة ومؤسسات حكم وسياسة خارجية، حيث إنها الدولة الإسلامية الوحيدة التي ينص دستورها على المذهب وليس على الدين، كهوية لدولة، إلا أنها لم تتردد في إسقاط المصلحة المذهبية حين تتهدد المصالح القومية لإيران. وإذا كان اصطفاف إيران مع أرمينيا المسيحية في مواجهة أذربيجان ذات الأغلبية الشيعية، وموطن الأذريين الذين يتحدر منهم المرشد علي خامنئي، هو المثال الكلاسيكي على تغليب الاعتبار القومي على المذهبي، فإن الموقف من نمر النمر يعطي مثالا أفضل على

«فصام» إيران المذهبي لخدمة مصالحها.

حين تسلم الإمام الخميني السلطة في إيران سارع إلى قطع العلاقات مع ليبيا نتيجة الشكوك بدور ليبي في اختفاء الإمام موسى الصدر. لكن المفارقة كانت أن هذه العلاقات استعيدت كاملة بعد تسعة أشهر فقط، في ١٩٧٩، بالتزامن مع تهيؤ الخميني للإطباق على تفاصيل منظومة الحكم في إيران.

ثم ما لبثت أن تحولت ليبيا، على غرار سوريا، إلى حليف وثيق الصلة بإيران طوال سنوات الحرب الإيرانية - العراقية، وهو ما تشهد له الأسلحة الليبية، الروسية الصنع، من ألغام بحرية ودبابات وصواريخ سكود، التي لعبت دورا بارزا في مساندة وتغذية المجهود الحربي الإيراني في الخليج.

وفي هذا السياق، يروي وزير الخارجية اللبناني، الراحل قبل أيام، فؤاد بطرس، في مذكراته الصادرة عن «دار النهار»، تفاصيل صادمة عن الإهمال الإيراني المبرمج الذي تعرضت له قضية اختفاء الإمام الصدر خلال أعمال مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية الذي انعقد في الرباط في مايو (أيار) ١٩٧٩. يكشف بطرس عن جانب من المراسلات بينه وبين سفير لبنان في الرباط، عادل إسماعيل، الذي كُلف من الخارجية اللبنانية بطرح قضية الصدر وعن تفاصيل الاتصالات بين إسماعيل والوفدين الإيراني والليبي.

يروي بطرس أنه خلال حوار بين إسماعيل ووزير الخارجية الليبي حول تمني الأخير عدم طرح قضية الصدر، قال المسؤول الليبي لإسماعيل إن رئيسه عبد السلام جلود كان في ضيافة الإمام الخميني لفترة أسبوعين، وإنه «لمس لدى الخميني عدم اهتمام بهذه القضية ولم يحدثه عنها إلا بصورة عابرة»!! كما يكشف بطرس أن إسماعيل شعر أن اتصال أحد أعضاء الوفد الإيراني به لسؤاله عن احتمال طرح قضية الصدر على أعمال المؤتمر، يقع في خانة «رفع العتب»، بعد أن يوضح أن المسؤول الإيراني قال له إنه «لا لزوم لتقديم أي طلب» لإيضاح قضية الصدر!!

واللافت أيضا أن يصل مستوى العلاقات الليبية - السورية إلى مستوى إعلان الوحدة بين البلدين في عام ١٩٨٠؛ أي بعد أكثر من سنتين بقليل من اختفاء الإمام الصدر في ليبيا، علما بأن الزعيم الليبي معمر القذافي زار دمشق في ١٩٧٩ وكان يفترض أن يتابع زيارته إلى لبنان لولا الموقف الرافض للزيارة الذي عبرت عنه جماهير الإمام الصدر، وتولى تبليغه للدولة اللبنانية، قبل ساعات من الزيارة، نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين.

بهذا المستوى من الإهمال المتعمد تعاملت إيران مع قضية اختفاء الإمام الصدر، أحد أبرز الشخصيات الشيعية في التاريخ الحديث، وبهذا الاستنفار الذي شاهدناه تعاملت مع تنفيذ حكم الإعدام بحق نمر الشخصية «الدينية» الضحلة، والناشط الشعبوي الشديد المذهبية، والشخص الذي حمل السلاح في مواجهة الدولة السعودية خدمة لإيران، التي يريد استيراد نموذج ولاية فقيهها إلى السعودية كما يقول في خطبه المسجلة.

يتضح بين الصدر والنمر، أن المسألة ليست مسألة الشيعة والدفاع عنهم وعن مصالحهم كما تزعم طهران، بل استخدامهم لخدمة مشروع الدولة الإيرانية الذي لا يقوم إلا على إضعاف الآخرين، لا سيما العرب، وإنهاك دولهم واستنزاف مجتمعاتهم.

الشيعة ليسوا جالية إيرانية بنظر إيران إلا حين يخدم تحريكهم أهداف الدولة الإيرانية. الشيعة ليسوا جالية إيرانية، وحبذا لو يعلي عقلاؤهم الصوت أكثر ولو يلاقي هذا الصوت عقلاء فاعلين في الطرف الآخر.

رحيل زهران علوش...
من احتمالية المسارات إلى حتمية المآلات

ربيع حداد- موقع لبنان ٣٦٠ ٢٠١٥/١٢/٢٧

رحل القائد المجاهد وطالب العلم والخطيب والمعلم والأب والزوج الشيخ محمد زهران بن عبد الله علوش مخلفاً ثغرة عظيمة لن يكون من السهل سدها. جيش الإسلام أعلن عن تنصيب خليفة له هو أبو همام عصام بويضاني الذي شارك علوش تأسيس لواء الإسلام قبل أن ينمو ويتطور إلى جيش وكان رفيق دربه منذ بداية الثورة.

اغتيال الشيخ زهران سيكون حدثاً مفصلياً في مسار الثورة السورية كونه جاء نتيجة تراكمات بدأت باستشهاد قائد لواء التوحيد في حلب عبد القادر صالح الذي كان يحظى بمحبة واحترام شريحة واسعة من الأهالي والمقاتلين والقادة على حد سواء وقد تفكك لواؤه من بعده وانحسر دوره بشكل كبير. تلا ذلك اغتيال قيادات الصف الأول والثاني من حركة أحرار الشام التي كانت تشكل الفصيل الأقوى والأكثر انتشارا والأمتن تنظيماً في الشمال السوري وهو أمر لو أصاب دولة عظمى لأدى إلى انهيارها لكن الحركة تعافت من ذلك إلى حد بعيد واستطاعت أن تعيد تشكيل كوادرها وإن كان ذلك على حساب تراجع نفوذها وانحسار أعداد المنتمين إليها وبروز خلافات داخلية حول هوية الحركة ومناط نشاطها العسكري والسياسي. ضف إلى ذلك انحسار الدور التركي بسبب الانتخابات البرلمانية التي جرت أحداثها في الدورة الأولى بغير ما تشتهي سفن العدالة والتنمية ما أربك مسيرة الحزب الحاكم وأصابه بشيء من الجمود طيلة الفترة الممتدة بين الانتخابات الأولى والثانية.

كان من شبه المسلّم به قبيل إعادة الانتخابات أن تركيا ستعمد إلى إيجاد منطقة آمنة في الشمال السوري تسمح للمدنيين بالعيش فيها بمأمن من طيران بشار الأسد وبراميله المدمرة وتجعل الحدود التركية- السورية أكثر ضبطا وأمنا من تسلل داعش وغيره لكن التدخل العسكري الروسي جمد مخططات أنقرة وسحب زمام المبادرة من يدها وأصبح بوتين بذلك ضابط الإيقاع الرئيسي للأحداث في سوريا عسكرياً وسياسياً. العنوان الرئيس للتدخل الروسي كان «محاربة الإرهاب» المتمثل بداعش متذرعا ببعض الأعمال الإرهابية التي تبناها التنظيم. لكن داعش لم تحظ إلا بالنزر اليسير من غارات الروس التي تركزت على الفصائل الأخرى المناوئة لداعش والبيئة الحاضنة لها والتي كللتها روسيا باغتيال القائد زهران علوش بالأمس القريب. عملية الاغتيال جاءت بعد مؤتمر الرياض الذي شارك فيه جيش الإسلام عبر إيفاد ممثلين عنه كان أبرزهم أبو عمرو، محمد علوش وهو ابن عم زهران. وشارك جيش الإسلام - عبر مندوبيه- باللجنة العليا للتفاوض التي انبثقت عن مؤتمر الرياض في الوقت الذي انسحب فيه الأحرار من المؤتمر ورفضوا التوقيع على بيانه الختامي لما رأوه من دور كبير يمنحه المؤتمر لنظام الأسد.

كل ما سبق أسس لحالة من التخبط الميداني والسياسي في أوساط المعارضة السورية وكان هناك العديد من النقاط المتعلقة بالبيان ولجنة التفاوض التي تحتاج إلى جلاء وتوضيح لكن العالم لم يمهل المعارضة فصدر قرار مجلس الأمن بالإجماع مكرسا لمخرجات مؤتمر الرياض ومؤيدا ضمنيا للدور الروسي والإيراني في سوريا وتدخلهما السافر ميدانيا مما أطلق يد روسيا بشكل أوسع فكثفت من غاراتها على الأحياء السكنية وفصائل المعارضة وتوجتها باغتيال زهران علوش. وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف علّق على اغتيال

علوش قائلا بضرورة «تنقية» لجنة التفاوض من العناصر الإرهابية، الأمر الذي يشي بحقيقة تعاطي موسكو مع الملف وإصرارها على صناعة مستقبل سوريا بالشكل الذي يوافق رؤيتها ومصالحها بالتنسيق مع الأمريكان والناتو من جهة ومع الكيان الصهيوني من جهة أخرى. ولا يستبعد بعض المراقبين أن يكون اغتيال سمير القنطار واغتيال الشيخ زهران علوش جاء نتيجة تبادل معلومات استخباراتية بين الطرفين وتنسيق عسكري جوي اعترف به الطرفان مسبقاً.

الرسالة واضحة؛ لا مكان للفصائل الجهادية المسلحة في سوريا المستقبل بحسب الرؤية الروسية (يؤيدها في ذلك الناتو وإسرائيل) مهما كان توجهها ومهما بلغ اعتدالها. اغتيال زهران علوش وتوقيته يجب أن يفهم في هذا السياق. إزاحته ستضعف آخر الفصائل العسكرية الكبرى وتهدد تماسكه مما سيفسح المجال أمام فصائل عسكرية أخرى صنعت في غرف «الموم» (M.O.M) و«الموك» (M.O.C) ولم تتمكن من إحراز تقدم يذكر ميدانيا حتى اللحظة. تركيا من جهتها غرقت في أزمة إسقاط المقاتلة الروسية، الأمر الذي قطع الطريق على مشروع المنطقة الآمنة على حدودها مع سوريا وخلق مناخا من التوتر الإقليمي انعكس سلبا على الاقتصاد التركي وأشغل أنقرة بإطفاء الحرائق التي أشعلها بوتين في أكثر من عاصمة حول العالم ومع أن الرئيس التركي رجب طيب أردوغان فاز في معركة السيادة والكاريزما، إلا إن كفته متساوية حتى اللحظة مع بوتين في ميزان السياسة والعلاقات الدولية.

أما التحالف العسكري الإسلامي التي أعلنت السعودية عن تشكيله من ٣٤ دولة وجعلت غرفة عملياته المشتركة في الرياض، والذي شكّل بصيص أمل عند البعض لم يبلور حتى اللحظة دورا يليق بحجم اسمه (عسكريا على الأقل) وتمنى هذا البعض أن لا يكون الإعلان عنه مجرد مناورة سياسية تخدم أهدافا مرحلية محدودة في الوقت الذي يمكن له - لو حظي باهتمام أعضائه المؤثرين- أن يشكل منعطفا حيويا فاعلا ونقلة نوعية استراتيجية لا يستهان بها.

العبث الإيراني في الجزائر إلى أين

د. محمد السلمي– الوطن السعودية /٢٠١٥/١٢

إذا كانت طهران في فترة حكم الرئيس المخلوع محمد مرسي تدندن على أن القاهرة كانت عاصمة الدولة الفاطمية الشيعية، فيبدو أنها أيضا تنظر إلى الجزائر بصفتها مهد الدولة الفاطمية

في سبتمبر الماضي أغلقت السلطات السودانية المراكز الثقافية الإيرانية بتهمة «التبشير بالمذهب الشيعي»، ومنحت مهلة ٧٢ ساعة لموظفي تلك المراكز لمغادرة البلاد. وأكدت مصادر حكومية في الخرطوم أن السلطات السودانية استدعت القائم بالأعمال الإيراني في البلاد، وأبلغته قرار إغلاق المراكز الثقافية الثلاثة، كما اتهمت وزارة الخارجية السودانية المراكز الثقافية الإيرانية بـ«تهديد الأمن الفكري والاجتماعي للسودان».

على نمط الحالة السودانية، نجد أن إيران تعمل بجهد مضاعف على توطيد أقدامها في دولة عربية أخرى هي الجزائر. لقد مرت العلاقات بين طهران والجزائر بحالة من التأرجح منذ قيام الثورة الإيرانية في عام ١٩٧٩. فبعد قطع العلاقات الدبلوماسية بين إيران والولايات المتحدة الأميركية عام ١٩٨٠ كانت الجزائر راعية المصالح الإيرانية في واشنطن. إلا أن هذه العلاقة الجيدة لم تستمر

طويلا حتى اتهمت الحكومة الجزائرية، في عهد رئيس الوزراء رضا مالك، إيران بدعمها السياسي والإعلامي لـ«الجبهة الإسلامية للإنقاذ»، ما قاد الجزائر إلى اتهام طهران بالتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد، وبالتالي قطع علاقاتها الدبلوماسية مع إيران في مارس ١٩٩٣، وتراجعت الجزائر أيضا عن رعاية المصالح الإيرانية في الولايات المتحدة الأميركية. وبعد نحو ٧ أعوام من ذلك التقى الرئيسان بوتفليقة وخاتمي على هامش اجتماع للأمم المتحدة، الأمر الذي انعكس على مستقبل العلاقات بين البلدين، حيث عادت العلاقات الدبلوماسية في سبتمبر ٢٠٠٠ وتم تبادل السفراء بعد ذلك بعام.

وخلال العام الحالي تطورت العلاقات بين البلدين بشكل ملحوظ، ويبدو أن طهران تسعى إلى خلق تحالفات جديدة لها في شمال إفريقيا، ليس ذلك فحسب، بل ومحاولة إثارة الخلافات بين الدول العربية في تلك المنطقة. فقد تجاهل وزير الخارجية الإيراني في جولته في المنطقة المملكة المغربية، ما يؤكد أن طهران تتجه إلى تعزيز علاقاتها بالجزائر وتونس دون الرباط، بينما تزداد الهوة بين الأخيرة وإيران اتساعا على خلفية التوتر الذي ظهرت بوادره أخيرا على خلفية تأييد طهران، على لسان سفيرها لدى الجزائر، موقف الأخيرة الداعم لحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره بنفسه.

وقد شهدت هذه الفترة عددا من الزيارات واللقاءات بين مسؤولين رفيعي المستوى من إيران والجزائر، أسفرت عن إبرام عدد من اتفاقيات التعاون الاقتصادية والثقافية، وصفتها بأنها تهدف إلى خلق كتلة اقتصادية قوية في مواجهة «الخصوم». وشملت هذه الاتفاقيات برامج تنفيذية للتعاون، في مجالات الرياضة والتعليم العالي والبحث العلمي والمشاريع الكبرى، على امتداد السنوات الخمس المقبلة، كما تم تشكيل مجموعة الصداقة البرلمانية الجزائرية- الإيرانية، وإنشاء صندوق مشترك بين البلدين يسمح بتقوية العلاقات الاقتصادية بينهما. وعلى المستوى السياسي، تواترت الأنباء عن أن الرئيس روحاني قد طلب من نظيره الجزائري التوسط لدى التحالف العربي بقيادة المملكة العربية السعودية لوقف التدخل العسكري باليمن، وأن نائب وزير الخارجية الإيرانية مرتضى سرمدي هو من قدم الطلب الإيراني للوزير الجزائري المنتدب المكلف بالشؤون المغاربية والإفريقية عبدالقادر مساهل. الجزائر لم تنضم بعد إلى التحالف العسكري الإسلامي الذي أعلنت عنه الرياض أخيرا وضم أكثر من ٣٥ دولة عربية وإسلامية، ما يثير كثيرا من الاستفهامات حول الموقف الجزائري.

وقبل أسابيع، نشرت وكالة مهر للأنباء خبرا عن اجتماع المستشار الثقافي الإيراني في الجزائر أمير موسوي مع عدد من المثقفين وأساتذة الجامعات في الجزائر، من بينهم قيصر مصطفى، ذو الأصول اللبنانية، الأستاذ في كلية الآداب التابعة لجامعة الجزائر في منطقة «بن عكنون» في العاصمة الجزائر. حيث تناول هذا الاجتماع أوضاع الجامعات والطلاب في الجزائر علميا واجتماعيا ومعيشيا، وأوضاع إسكان الطلاب والظروف الدراسية، وكذلك الأوضاع الثقافية وتصنيفات وسائل الإعلام الجزائرية المؤيدة والمعارضة للحكومة، وأيضا أوضاع ما أطلقوا عليه «فوبيا إيران» في الجزائر. وقال «قيصر مصطفى» إن صورة إيران و«خط المقاومة» في الجزائر إيجابية بشكل عام، وأكد على أن الأصوات المعارضة لها يتم تغذيتها من قبل «الوهابية» وفرنسا، وأن هذه الأصوات ليس لها قاعدة شعبية في الجزائر، على حد زعمه.

إذا كان الملحق الثقافي في السودان العقل المدبر لنشر التشيع وإقامة الحسينيات ومحاولة التغلغل في المجتمع السوداني بشتى الطرق، ما قاد الخرطوم إلى اتخاذ تلك الخطوة الجريئة لما يمثله هذا النشاط الإيراني من تهديد للأمن الفكري والاجتماعي في السودان، فإن أمير موسوي، القيادي في الحرس الثوري الذي كان يقدم نفسه في الإعلام العربي، بصفته محللا سياسيا ورئيس مركز دراسات في إيران، يعمل حاليا على تكرار المخطط الذي كان يستهدف السودان ولكن في الجزائر، وكما كانت طهران تقدم المنح الدراسية لبعض الشباب السوداني للالتحاق بالجامعات والمعاهد في طهران وقم وقزوين فهي تقوم بالشيء ذاته مع الجزائريين، فقد نقلت صحيفة «الشروق» الجزائرية عن وزير الشؤون الدينية والأوقاف الجزائري، محمد عيسى، تصريحه أن «عشرات الجزائريين موجودون في مدينة قم الإيرانية لدراسة المذهب الشيعي». وإذا كانت طهران إبان فترة حكم الرئيس المعزول محمد مرسي تدندن على أن القاهرة كانت عاصمة الدولة الفاطمية الإسماعيلية الشيعية فيبدو أنها أيضا تنظر إلى الجزائر بصفتها مهد الدولة الفاطمية وبخاصة منطقة «إيكجان» أو «دار الهجرة» وهي مدينة بناها أبو عبدالله الشيعي في ولاية سطيف الجزائرية، وقد أقام بها عبيدالله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية، ولا شك أن النظام الإيراني سيعزف على ذلك، بهدف التوغل عبر الشعارات المذهبية لتحقيق أهدافه السياسية في الداخل العربي، ليستمر بذلك في استهداف الاستقرار في المنطقة وإثارة القلاقل بين أبناء المجتمع الواحد، في ظل غياب تام لمشروع عربي يقف في وجه المشروع القومي والطائفي لدولة ولاية الفقيه في طهران، والسؤال هنا: إلى متى يستمر هذا العبث الإيراني في الدول العربية؟

ظاهرة «عَبَدة الشيطان» تظهر من جديد في لبنان ومنع حفلتين

القدس العربي ٢٠١٦/١/٧

يبدو أن ظاهرة «عبَدة الشيطان» التي بدأت في لبنان عام ١٩٩٢، وكان وزير الداخلية الاسبق الياس المر أول من كافحها ونجح في ذلك بعد عشرة أعوام أي في عام ٢٠٠٢، عادت لتظهر على الاراضي اللبنانية، حيث كان يعتزم عدد من الشبان الذين يتبّعون هذه الممارسات، بإسم الشيطان استقبال العام الجديد بحفل ضخم كان مقرراً في بلدة بيصور في قضاء عاليه وتحديداً في «بيصور كونتري كلوب» لكن الشبهات بأن يكون الحفل «شيطانياً» دفعت برئيس البلدية وليد العريضي إلى إلغاء الحفل، الامر الذي أزعج المنظمين فغيّروا صورة الاعلان الذي كان يمثّل وجه الشيطان وعليه اشارة الصليب واختاروا بلدة أخرى في جبل لبنان هي يحشوش وتحديداً مطعم الوادي في الهواء الطلق رغم برودة الطقس نتيجة العاصفة التي هبّت على لبنان. ولكنهم عادوا ليصطدموا برفض رئيس بلدية يحشوش كارل زوين اقامة الحفل ضمن نطاق بلديته.

وفي وقت تحدثت تقارير إعلامية عن وجود ٨٠٠٠ قنبلة موقوتة تهدد المجتمع اللبناني وهي عبارة عن «عبدة الشيطان»، فقد لفت أن محطة LBCI استضافت أحد المشتبه بهم بانتمائه إلى هذه الظاهرة ويدعى فادي فواز الذي ظهر بلحية ونظارات سوداء ونظرات غريبة. وكشف أنه طالب جامعي نافياً علاقة الحفل بـ«عبدة الشيطان»، ومعلناً أن اقامة الحفلة كان سيستغرق حوالى يومين أو ثلاثة حتى الانتهاء من بث كل أنواع الموسيقى الالكترونية التي كان سيقدمها أحد

أشهر الموسيقيين العالميين بنتاليس كونتوديموس وهو يوناني الأصل.

وتكلم فواز على شاشة المحطة وهو يدافع عن اقامة الحفل، مشيراً إلى أنه « فنان بالرقص الالكتروني وأنه مسيحي أورثوذكسي ويؤمن بربّه، وأن الموسيقى الالكترونية ليس لها علاقة بالطقوس الشيطانية وكل هذه الامور المروّعة». وأبدى حزنه لما جرى من منع للحفل في لبنان.

وقال «كل ما نريده هو الرقص وقضاء وقت ممتع»، لافتاً إلى أن «في لبنان أناساً يريدونه أن يتقدم إلى الأمام ولكن بعض العقول القديمة لا تسمح لهم بذلك ويعيدونه ألف سنة إلى الوراء».

واللافت أن مقدم البرنامج جو معلوف بدا كأنه متعاطف مع ضيفه فادي فواز وساخر من تصوير الحفل الفني والموسيقي كأنه لعبدة الشيطان، ما دفع بالضيف الآخر وهو رئيس جمعية «جاد» لمكافحة تعاطي المخدرات جوزف حواط إلى القول له «يبدو أنك تصوّر هؤلاء وكأنهم يرشحون زيتاً (ويقصد كأنهم قديسون)».

وسأل الضيف المذيع «هل ترضى أن يظهر صليبك على رأس الشيطان؟». وأوضح «أن مضمون الحفلة يكشف من عنوانه»، شارحاً «أن عقار حبوب الهلوسة «ال اس دي» يُستعمل بكثرة من طرفهم كونه نوع من المخدّر الذي يُفقد المرء الإدراك السليم ويصيب متعاطيه بالهلوسة لعدة ساعات».

واستنكر حواط «إهانة المقدسات المسيحية التي رافقت المنشور بشكل وقح وفاضح، بحيث يظهر رسم الصليب بين حاجبَيْ الشيطان، ناهيك عن ارتداء أحذية وألبسة وضعت عليها صور العذراء والقدّيسين بطريقة مشينة تعكس صورتهم وأفكارهم. وكشف عن «عمليات ترويج وبيع للهيروين وللكوكايين داخل هذه السهرات، إضافة إلى أعمال الفحش والجنس الجماعي».

وإذا كانت الحلقة مرّت بسلام على الهواء إلا أنها لم تكن كذلك خارج الهواء حيث وقع إشكال لدى المغادرة حمّل المذيع جو معلوف مسؤوليته إلى أولاد حواط الذين قال عنهم إنهم شهروا سلاحهم على فادي فواز وهو أمر غير مقبول ومرفوض.

ولكن تبيّن أن ما أعلنه معلوف ليس هو الواقع على ما يبدو حيث أن رئيس جمعية «جاد – شبيبة ضد المخدرات» حواط شرح في بيان حقيقة ما حصل. وقال «فور انتهاء فقرة «عبدة الشياطين» ضمن برنامج «حكي مجالس» طلب الاعلامي جو معلوف من الاستاذ حواط عقد مصالحة مع منظم الحفل المشبوه المدعو فادي فواز، وعند الخروج إلى الباحة الداخلية لمبنى «المؤسسة اللبنانية للارسال» اقترحت على فواز «اصدار بيان يعتذر خلاله من اللبنانيين ويعترف بالخطأ الذي ارتكبه بحق الصليب وانا على استعداد بأن أكون إلى جانبه وأعاونه في حال صحت نوياه. فما كان من فواز الا اهانة الصليب مرة جديدة، مستهزئاً بالقول: «اديشك غشيم لاحق وتابع الصليب»، وغيرها من الاهانات.

وادعى أن اركان جمعية جاد متخلفون، فما كان من أحد الشبان الا مواجهته كلامياً، رافضين جميعاً المس بالمقدسات الدينية، فقمت بمنع التدافع وتهدئة الوضع»، واضاف البيان: «الا ان المقدم فاجأنا بالكلام على الهواء ان اولاد حواط شهروا السلاح في وجه المدعو فواز بما فيه اساءة إلى سمعة رئيس الجمعية، علماً بان هناك ٤ شهود على ما تفوه به فواز من اهانات». وأكد حواط «أن الشبان الذين كانوا برفقته ومن بينهم وَلده غير مسلحين، وكاميرات المراقبة خير دليل على ذلك، مطالباً المؤسسة اللبنانية للارسال بالعودة إلى كاميراتها صوتاً وصورة وتبيان حقيقة، أنه لم

يكن هناك اي سلاح، وكل ما قيل هو افتراء في حق رئيس الجمعية. وتابع «ليس بهذه الطريقة يكافئون أبناء حواط الذين يتلقون التهديدات منذ أسبوع»، مطالباً بالاعتذار علناً في البرنامج.

يشار إلى أن أوّل المنتحرين ضمن ظاهرة «عبدة الشيطان» في لبنان كان يبلغ من العمر ١٤ سنة، وقد بعث برسالة إلى صديقه طالباً منه دفن أشرطة الروك اند رول التي كان مولعاً بها معه. بعدها، توَالت حوادث الانتحار المماثلة، حتى بلغت، وفق التقارير الأمنية، ١١ حالة.

وعن قصة القداس الاسود يروي الاب ماورديني الذي كان مرشداً لعدد من الشباب المرتدّين من هذه الظاهرة، أنّ «القداس الأسود هو عبارة عن غرفة مظلمة جُلّلت بالسواد وأنارت بعضَ جوانبها شموع سوداء، وفيها مدفأة تعلوها نجمة خماسية، وبالقرب منها يوجد المذبح وهو مغطّى بقماش أسود، تستلقي عليه فتاة عذراء عارية تماماً يعلوها صليب مقلوب، ويكون الهدف أن تفقد عذريّتها ليشرب الحاضرون الدم السائل بعدَ خَلطِه بالقربان، إثر أوّل ممارسة جنسية لها مع الكاهن الشيطاني أو الأسقف. فتزول كل وسائل الاحترام الموجودة بينها وبين شباب الجماعة، لتبدأ حفلة جنس جماعي، فيتناوب جميع الحاضرين بالانغماس في ممارسة كل أنواع العربدة الممكنة، وكافة أشكال الانحراف الجنسي أمام الهيكل».

أوباما وصواريخ إيران الباليستيّة

علي حسين باكير– عربي ٢١ ٢٠١٦/١/٤

قامت إدارة أوباما في الساعة ١٠:٣٠ من صباح يوم الأربعاء الماضي وفقا لما نقلته صحيفة وول ستريت جورنال بإبلاغ الكونغرس، بأنها ستفرض عقوبات على حوالي ١٢ فردا وشركة، في كل من: إيران وهونغ هونغ والإمارات؛ بسبب دورهم في تطوير برنامج الصواريخ البالسيتيّة الإيراني، لاسيما بعد التجارب الصاروخية التي أجرتها إيران في شهر أكتوبر ونوفمبر الماضيين.

لكن وفي الساعة ١١:١٢ دقيقة أرسل البيت الأبيض رسالة أخرى ذكر فيها أنّه قد تم تأجيل إعلان العقوبات بضع ساعات، قبل أن يعود ويرسل رسالة أخرى في المساء، يقول فيها إنّ إعلان العقوبات قد تمّ تأجيله إلى أجل غير مسمى.

لماذا تمّ إلغاء فرض العقوبات أو تأجيلها إلى أجل غير مسمى؟ خلال الأسبوع الماضي وبعد شيوع الأخبار عن قرب فرض إدارة أوباما لهذه العقوبات، شرع الجانب الإيراني في إرسال تهديدات متكررة إلى الجانب الأمريكي بلغت ذروتها إعطاء الرئيس الإيراني حسن روحاني أوامر إلى وزارة الدفاع الإيرانية، بتسريع البرنامج الصاروخي للبلاد ردّا على الخطوة الأمريكية.

المعارضون لأوباما اتّهموه بالخضوع للتهديدات الإيرانية، لكن البيت الأبيض فسّر هذا الموقف يوم السبت الماضي بالقول بأنّ هذه العقوبات يلزمها المزيد من العمل والإجراءات حتى تقر، وانّ الرئيس أوباما في عطلة الآن! لكن إذا كان الأمر كذلك، لماذا تمّ الإعلان عنها من الأساس؟

الجدل حول هذا الموضوع عقيم، لكن من الواضح في المقابل انّ هذه الخطوة تعكس مدى تقييد الاتفاق النووي حقيقة للجانب الأمريكي وليس الإيراني. لقد كتب الكثير عن هذا الاتفاق وقيل أكثر عن الكيفية التي سيدفع بها الجانب الإيراني ليصبح أكثر تعاونا، وأقل عدوانية في سلوكه وسياساته الإقليمية والدولية، لكننا وعلى الرغم من مضي حوالي ٦ أشهر، لم نر أي شيء من هذا على الإطلاق، وقد كنا محقين دوما في توقّع السلوك الإيراني، المزيد من العدوانية، المزيد من الدعم للعملاء الإقليميين والمزيد من الحروب .

في أكتوبر الماضي، أجرت إيران تجربة لصواريخ متوسطة المدى قادرة على حمل رؤوس نووية، وقد بحثت الأمم المتحدة هذا الأمر واعتبرته خرقا لقرار مجلس الأمن ١٩٢٩ الذي ينص على وجوب منع إيران من القيام بأي نشاط متعلق بالصواريخ الباليستية، القادرة على حمل رؤوس نووية بما في ذلك الإطلاق واستخدام تكنولوجيا الصواريخ الباليستية. لقد ضغط المشرعون الأمريكيون على الرئيس الأمريكي لكي يصدر عقوبات على إيران، ولكنّه امتنع عن ذلك.

البعض حاول أنّ يفسّر موقف إدارة أوباما الملتوي بأنّه محاولة لإعطاء الرئيس الإيراني وما يسمى الإصلاحيين في إيران فرصة، على اعتبار أنّ إقرار عقوبات الآن في هذه المرحلة سيؤدي إلى تقوية الجناح المتطرّف داخل النظام. في الحقيقة لقد مللنا من هذه اللعبة المتكررة إلى حد الملل، فمن يدير إيران ومن يسمح للإصلاحيين بالصعود أو الهبوط، أو الدخول إلى العملية السياسية أو الخروج منها، أو التفاوض على الاتفاق النووي أو خرقه، هو المتطرفون، وعليه فإن تبرير مثل هذه الخطوات بمثل هذه الذريعة هو في حقيقة الأمر؛ إمّا أنّه يعكس فشلا في فهم إيران، أو أنّه يعكس فشلا في مواجهتها

إرهاصات الانبعاث السلفي

د. محمد السعيدي- موقعه الشخصي ٢٠١٥/١٢/٣٠

وصل العالم الإسلامي في مطلع العصر الحديث وفي ظل غيابٍ كليٍ للمنهج السلفي إلى أسوأ أحواله من حيث الانفصام بين العلم الشرعي الذي يتوارثه العلماء وبين العمل والقيام بالدِّين، فكانت صورة الدين الموروث في الكتب تختلف كثيراً عن الدين المعمول به سوى ظواهر من أعمال الجوارح كالصلاة والصوم والحج والزكاة كادت أن تكون هي الباقي الوحيد من معالم دين الأمة الموروث عن نبيها، وحتى تلك كان التفريط فيها هو الأصل والأعم الأغلب، بل إن الصوفية الهندية ومن تأثر بها في البلاد الإسلامية كانت تميل إلى شئ من الاستخفاف بعبادات الجوارح تلك تأثراً بالفلسفة الهندية التي تبتني على عمل الروح وإذابة الجسد فيها.

وظهر في الهند محاولةً لإعادة الأمة إلى دينها وهي الحركة التجديدية لملك الهند العظيم أورنكزيب المعروف بعالمكير]ت ١١١٨هـ[لكنها أيضا لم تنجح كثيراً بل ربما سيجد المتتبع أن آثارها انتهت فور وفاة هذا الملك، ولعل من أسباب ذلك كونها أحدى آثار الحركة التجديدية للعلامة أحمد السرهندي]ت ١٠٣٤هـ[الذي سُمِّيَ مجددَ الهند والحقيقة أنه جدد الطريقة النقشبندية وقد اُعتُبِر عند المؤرخين مجدداً للإسلام من خلال

تجديد هذه الطريقة ، وهو وإن أزال عنها في الهند بدعة وحدة الوجود الكفرية التي ورثها النقشبنديون عن ابن عربي فإن الضلال والخرافة والابتداع ضَل في طياتها ولم يوفق الشيخ السرهندي رحمه الله ولا الملك أورنكزيب لتحقيق التجديد الحق والخروج بالأمة من ضائقتها.

وقد ظهرت في أنحاء العالم الإسلامي محاولات فردية لإعادة عقيدة السلف للظهور في الأمة كدعوة الشيخ محمد بن سليمان الروداني في مكة [ت ١٠٩٤هـ] ودعوة الشيخ ولي الله الدهلوي في الهند [ت ١١٧٦هـ] إلا أن هذه الدعوات بقيت محدودة التأثير لعوامل عديدة، ولعل منها: أن دعوة الروداني كانت مبنية على تغيير المنكر اعتماداً على المنصب والنفوذ حيث تولى الشيخ من قِبَل السلطان العثماني صلاحيات عريضة في الحجاز، ولم تعتمد بشكل كبير على تغيير قناعات العلماء أو الأمراء بل ولا تغيير قناعات عامة الناس، أما دعوة الدهلوي فاعتمدت على تأسيس مناهج علمية جديدة وإنشاء طبقة من العلماء مؤمنة بالتجديد العلمي والعودة إلى معارف السلف، لكنها تضمنت أيضا عدم مفاصلة مع التصوف بشكل عام فأبقى الشيخ ولي الله على علاقاته مع أصحاب الطرق محاولاً تصحيح الطرقية من داخلها عبر منهج يتضمن الإبقاء عليها، وربما كان هذا شئ مما أضعف أثرها إضافة إلى أنها دعوة غير مُدَعّمَةٍ سياسياً، فقد وُلد ولي الله الدهلوي في آخر عهد آخر ملوك الهند الأقوياء والذي سنتحدث عنه قريباً، وشهد عهده صراعاً بين الهنود المسلمين وبعضهم والمسلمين والديانات الأخرى والسيخ خاصة والمسلمين والانجليز، فكانت الأجواء السياسية تبني الكثير من العوائق دون إنجاح هذه الحركة في انتشار التأثير العام.

إلا أن المنهج التعليمي الذي رسمه الشيخ ولي الله كان سبباً رئيسا في إنجاح هذه الحركة في البقاء حيث امتدت في الهند حتى يومنا هذا.

فضل العالم الإسلامي على ما ابتُلي به من الانكفاء على الخرافة التي وصل تأثيرها من الضرر أن جعل دولة الإسلام في الهند تسقط تحت الاحتلال البريطاني القادم من بعيد جداً بتأثير شركة تجارية أنشأتها بريطانيا وبعض المعارك الحربية التي لم يكن لمثلها أن تُسقط شعبا وأرضاً أعظم عدداً ومساحة من بريطانيا بكثير تحت سلطتها [تأسست الشركة الاستعمارية في ١٠٠٩هـ وتم انتقال الهند لحكم بريطانيا مباشرة ١٢٦٠هـ] .

واستطاعت **فرنسا بسبب الانكفاء الشعب على الخرافة والبعد عن الدين الحق احتلال مصر** غرة تاج الدولة العثمانية بمجرد وصولها إلى ثغر الاسكندرية بعد مقاومة يسيرة ثم دخلت إلى القاهرة وأعلنت السيادة على كامل الأراضي المصرية في أيام قلائل [بين يومي ١٨ محمرم و١١ صفر ١٢١٣هـ] ومعظم المقاومة التي لقيتها مملوكية ، وليس للأهالي أو لعلماء الدين والوعاظ شأن يذكر، فقد كانت عقيدة الجبر والإغراق في الصوفية قد أودت بهم شيئاً كثيراً .

وحين تتأمل أن غزواً بالدواب والعربات من أمة أجنبية الدين واللسان والصقع قادر على أن يُحكِم القبضة على إقليم بحجم مصر في أقل من شهر فإنك لابد أن تنظر في الأسباب الباطنة في نفوس أهل تلك الأرض، والناتج أن أظهر تلك الأسباب هو انكفاء الأمة بسبب شيوع الاستعباد للعباد عن طريق بدعة الاستغاثة بغير الله وإعطاء الصلاحيات للأولياء والمريدين وغيرها من البدع التي انتهجت على قلوب وعقول المسلمين حتى جعلتهم مسلوبي الإرادة عظيمي العجز عن التفكير والتدبير.

والغزو الفرنسي لمصر كان الباقعة التي من المفترض أن تحيي القلوب وتستنفر الأبدان، وإنّا فإن الطوام قد حلت بالمسلمين قبل حلول الكافرين في ديارهم، ألا ترى أن مصر- مثلاً لا حصراً- لم يكن إلا المماليك المجلوبون من أواسط آسيا يتوارثون حكمها وعسكريتها وولاياتها ووظائفها وأموالها وملك عقارها، أما بقية الناس فهم أتباع للحضرات والمقامات ومشايخ الطرق والتكايا ورُواقات المشايخ وزوياهم وخلاويهم ومن ليسوا من هؤلاء فهم الكادحون الكادون على أمر لقيماتهم ولقيمات أبنائهم.

وبالرغم من كون الحملة الفرنسية قد انقشعت في ثلاث سنين إلا أن هذا الانقشاع لم يكن بسبب حياةٍ في القلوب ونهضةٍ في العقائد بدليل أن بريطانيا جاءت من جديد واحتلت مصر بعد معركة التل الكبير التي استغرقت نصف ساعة وقد أحاط بها خيانات كثيرة من الحكومة والقادة والأهالي وكانت نتيجتها سيطرة الإنجليز على مصر والسودان معاً [شوال ١٢٩٩هـ] نعم: كانت المقاومة والتفاعل في شأن الغزو الإنجليزي أشد مما كان عليه في زمن الاحتلال الفرنسي ، لكن يبقى أن الأمة كانت ضعيفة غارقة في غياهب الخرافة ، وكان هذا الغرق سبب رئيس في سهولة شقوق الأمة تحت أعدائها ، وضعف الدولة الخديوية وعدم قدرة شعبها أو حكامها على حمايتها.

ومثال ثالث لسرعة انهيار البلاد الإسلامية أمام الغزو الأجنبي احتلال الجزائر التي لم تقف أمام الغزو الفرنسي سوى معارك يسيرة دخلت بعدها مدينة الجزائر سنة ١٢٤٦هـ.

والعجيب أن القوات التي كانت تحتل تلك المساحات الشاسعة كالهند ومصر والجزائر لم تكن قوات عظيمة العدد بل كانت فيما بين الثلاثين ألفاً والأربعين ألفاً، ولكن انهيار النفسية المسلمة ببعدها عن دينها واعتناقها تلك الخرافات جعلها عاجزة عن حماية نفسها.

وهذا الانهيار العجيب كان السبب الرئيس في تقبل العالم الإسلامي للدعوة السلفية التي انتشرت فيما بعد وكانت هي السبب الرئيس لكل الحركات التحررية من ربقة الاستعمار والتي لا تخفى صلتها المباشرة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وقيام الدولة السعودية.

إما أن تكونوا معنا وإما ضدنا

مقال: جمال خاشقجي-الحياة ٢٠١٦/١/٩

إنه شعار جيد ومناسب للمرحلة، وحري بالسعودي أن يعتمده وهو يلج غمار أهم صراع وجودي يواجهه.

مشكلة الشعار أن جورج بوش الابن استخدمه إثر اعتداءات ١١ أيلول (سبتمبر) ضد بلاده، فاشتهر به، على رغم أنه لم يكن أول من قاله، وقف في الكونغرس يلقي خطابه التاريخي لحشد تأييد شعبه حوله، يجهزهم للمضي خلفه لينتقم من أسامة بن لادن أو الإسلام السياسي، أو حتى الإسلام. أعتقد أن بوش لم يكن يعرف الفرق بينهم في ذلك اليوم، في الحقيقة لم يقله بتلك الصورة في العنوان، وإنما كان أكثر تحديداً، إذ قال يخاطب العالم «إما أن تكونوا معنا أو أنتم مع الإرهابيين».

وجد العالم صعوبة في قبول هذا الاختيار الضيق الذي قدمه بوش.

الفرنسيون توترت علاقتهم بالولايات المتحدة بعدها، وتبين لاحقاً أن الحق معهم، فبوش ارتكب أخطاء كارثية، ويمكن لومه الآن على كوارث عدة، ابتداء من الأزمة الاقتصادية التي بدأت في بلاده وامتدت إلى العالم، إلى حال الشرق الأوسط المنهار اليوم عندما أسقط العراق بيد إيران وأشعل

لهيب «القاعدة» المفضي إلى «داعش».

أخطاء بوش لا تلغي وجاهة منطق «إما أن تكون معي وإلا فأنت ضدي» إنها «حال ولاء وبراء» سياسية ضرورية في زمن المواجهات المصيرية الكبرى التي بها «نكون أو لا نكون» مثل ما يجري حالياً في المنطقة.

إنها مواجهة كبرى بين مشروع إيراني طائفي ومشروع شعوب حرة، وليس صراعاً بين السعودية وإيران، ولا بين سنّة وشيعة، وإنما بين الحق في الحرية والاختيار، أو الرضوخ تحت نظام «الولي الفقيه»، ولكنها رؤية غير مجمع عليها بعد، بل إن بعض حلفاء المملكة غير مقتنعين بها، هم معها ضد إيران، ولكنهم ليسوا ضد «المشروع الإيراني» لأنهم لا يرونه كذلك بعد.

إنه ليس صراع حدود، ولا على حقول نفطية أو غاز، ليته كان كذلك، لأتينا بالخرائط وجيش المحامين وخبراء التحكيم لحسم المعركة لأحدنا، ولا صراع نفوذ، فما الذي يعنيه نفوذ سعودي في اليمن أو نفوذ إيراني في سورية؟ لا يوجد في علم السياسة «نفوذ» يستحق الموت لأجله، والإيرانيون مستعدون للموت والقتل في سورية والعراق ولبنان، ولو سمح لهم لكانت اليمن ساحة رابعة لآلة موتهم، وإن كان الحوثيون ينوبون عنهم باقتدار قبيح، فلماذا يموت الإيرانيون ويقتلون أهلنا في عالمنا؟ إنهم يفعلون ذلك لأن لديهم «مشروعاً توسعياً» وحان الوقت لأن نقنع حلفاءنا بذلك. ما حصل الأسبوع الماضي ليس مجرد اعتداء على سفارة يمكن إصلاحه باعتذار، هو أعظم من قطع علاقات دبلوماسية، إنه قشة قصمت ظهر علاقات سيئة، وكشفت عن حجم الغضب السعودي الكامن من السياسة العدوانية الإيرانية، كما وصفها وزير الخارجية السعودي عادل الجبير.

لم تتحرك الرياض لتشكيل تحالف إسلامي عسكري، ولا رممت علاقاتها مع كل طرف إسلامي وعربي قادر لأنها تريد دعمهم حتى تحسّن إيران خطابها الإعلامي أو تتعهد بعدم الاعتداء على سفارتها مرة أخرى. إنها ضد مشروع ومخطط وتريد من بقية المسلمين أن يصطفوا معها ضدهما.

الدبلوماسية السعودية الحصيفة لن تقول عبارة «إن لم تكونوا معنا فأنتم ضدنا»، ولكن أرجو أن تجعلها مقياساً نعرف به من هو معنا ومن هو ضدنا. لكل الدول حساباتها ومصالحها وظروفها الداخلية، ولكن في المعارك الكبرى لا تُقبل المواقف الرمادية.

ولكن من الجيد أن توضح المملكة بعبارات صريحة ما يسمونه «نهاية اللعبة» التي تريد، وأحسب أن عادل الجبير ما فتئ يوضحها خلال مؤتمراته الصحافية وتعليقاته لوكالات الأنباء، وسأتطوع بفعل ذلك مستفيداً من تصريحاته وسلفه الراحل الأمير سعود الفيصل «المملكة لا تريد ولن تسمح بأن يكون لإيران موطئ قدم في الدول العربية، وبخاصة المحيطة بها، في شكل حزب سياسي موال لها، أو ميليشيا مسلحة، ولا قاعدة عسكرية، وبالتأكيد سترفض قيام حكومة عميلة تابعة لها مثل تلك التي خطط لها الحوثيون في اليمن، أو التي سيكون عليها نظام بشار الأسد فيما لو انتصر في سورية، ولكنها لن تمانع في علاقات صداقة عادية، كأن تمول إيران وتتبرع بمستشفى أو مدرسة أو طريق، كما تفعل أية دولة متحضرة، وعبر الأجهزة الرسمية القائمة في ذلك البلد، أي تأتي البيوت من أبوابها، لا عبر أحزاب وأفراد يتبعون وليّها وفقيهها».

أجزم بأن كل الدول العربية والإسلامية تتفق مع الرؤية السابقة، لذلك يجب أن تدعم السعودية وهي تحارب اليوم من أجل كل الأمة، فبقدر ما أن المملكة متضررة من «سورية الإيرانية» فإن تركيا ومصر والأردن لا تقل تضرراً، لذلك يجب أن تصطف بوضوح مع المملكة.

أصدقاؤنا من حولنا يقولون إنهم لا يريدون صراعاً طائفياً. لقد تأخر الوقت، نحن جميعاً في خضم هذا الصراع، ليس باختيارنا ولا رغباتنا، فقد دفعتنا إيران إليه، هي لا تتحدث بطائفية، ولكنها تقاتل وتقتل وتمارس السياسة بطائفية. انظروا إلى الخريطة، وتأملوا أين ومع من تقاتل إيران؟ في سورية تحارب ضد الشعب السوري منذ اليوم الأول للثورة، إنها ضد الحرية ومع طاغية، لماذا؟ وفي اليمن موّلت الحوثيين ودربتهم من دون أي حزب آخر، لماذا؟ في لبنان والعراق لا تجدهم مصطفين مع أي حزب أو تيار أو ميليشيا غير المحسوب عليها طائفياً. لأجل مشروعها تموت الحرية والديموقراطية وكل القيم والحقوق، إيران مستعدة أن تقبل بتطهير عرقي في الزبداني، ومحاصرة ٤٠ ألف إنسان ليموتوا جوعاً في مضايا، وقصف مستشفى في تعز مع تجويعها هي الأخرى، فمصلحة المشروع الطائفي هي التي تحرك السياسة الإيرانية وليس أي شيء آخر.

الأصل في مصلحة إيران الدولة، أن تكون علاقاتها جيدة مع جيرانها، «صفر مشكلات» مثل ما كان الأتراك يتمنون قبيل انفجار الثورة السورية، وهو الموقف الصحيح للبناء الداخلي، ولكنها ليست إيران الوطنية التي تفكر في طهران، وإنما إيران الأصولية، والأصوليات دوماً ضيقة الأفق، تنظر بعقلية الأسود والأبيض. لنقل إن الذي يصطدم الآن ليس الشيعة والسنّة، وإنما الأصولية الشيعية ضد أصولية سنية متعصبة يمثلها «داعش».

نحن في السعودية نعاني من الاثنين، وكلاهما كان هدف سيف العقاب السعودي في ٢ كانون الثاني (يناير) الجاري بإعدام ٤٧ مداناً بالإرهاب. لا نواجه إيران لأننا أصوليون مثلها، بل لأنها توسعية عدوانية، أما إيران الوطنية وغير الموجودة حالياً فهي ما نأمل بأن تعود إليه، وحينها يمكن أن تكون حتى شريكة للمملكة.

نحن نعيش أجواء أوروبا ١٩٣٩. عندما غزا هتلر بولندا، بدا وكأن السيل النازي بلغ الزبى، ولم يعد هناك مجال للصبر لدى أوروبا التي تريد أن تبقى حرة. من اتخذ قرار الحرب لم يردها بالتأكيد، ولكنه أيضاً لا يريد أن يكون الضحية الثالثة أو الرابعة لهتلر، الذي انفتحت شهيته لابتلاع أوروبا ونشر مشروعه الفاشي، لم تكن كل أوروبا مع بريطانيا وفرنسا في قرارهما الصعب بالمواجهة، لم يقولا لأحد «إن لم تكونوا معنا فأنتم ضدنا» ولكن في النهاية اصطف العالم كله، إما في صف الحرية وإما في صف الفاشية.

اليوم أمام العالم الإسلامي اختيار مماثل، فإما أن يختاروا الانتصار للحرية وحق المسلم في الانقياد لرب رحيم بكامل حريته ووفق مذهبه واعتقاده، وإما أن نستسلم واحداً تلو الآخر لولي فقيه في طهران يزعم أنه وحده يمثل الحق، ويتكلم باسم الله.

فأي اختيار نريد ؟